الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: نقد حديث ومعاصر
رمز المذكرة:.....

المـــوضـــوع:

ملامح النقد السياقي في رسالة الغفران لأبي العلاء المعري

إعداد الطالبة: مدوري فاطمة
إشـــراف: أ.د.زين الدين مختاري

لجنة المناقشة		
أ.الدكتورة	ابن هاشم خناتة	رئيسا
أ.الدكتورة	بن زرقة شهيناز	ممتحنا
أ.الدكتور	زين الدين مختاري	مشرفا مقررا

العام الجامعي : 1444-1445هـ /2022-2023م

فهرس

الموضوعات

الموضوع	رقم الصّفحة
الإهـــــداء	-
شكر وعرفان	-
المقدمـــــة	أ - ج
المدخل: تأصيل مصطلح النقد السياقي	
I.دراسة مصطلح النقد	2
II.دراسة مصطلح السياق	8
III.النقد السياقي	15
IV.التمثلات المعرفية	15
الفصل الأول: أبو العلاء المعري (حياته، ثقافته وآثاره)	
المبحث الأول: مولده و نشأته	39
المبحث الثاني: زمان أبي العلاء	42
المبحث الثالث: ثقافته	47
المبحث الرابع: مكانته الأدبية	56
المبحث الخامس: وفاته وآثاره	57
الفصل الثاني: قراءة تأملية في "رسالة الغفران"	
المبحث الأول: الوصف الخارجي للكتاب	64
المبحث الثاني: الوصف الداخلي للكتاب	66
الفصل الثالث: السياقات النقدية في "رسالة الغفران"	
المبحث الأول: السياق التاريـــخي	86
المبحث الثاني: السياق الاجتماعي	92
المبحث الثالث: السياق النفسي	96
المبحث الرابع: السياق اللغوي	100
الخاتـــمـــة	112
قائمة المصادر والمراجع	117

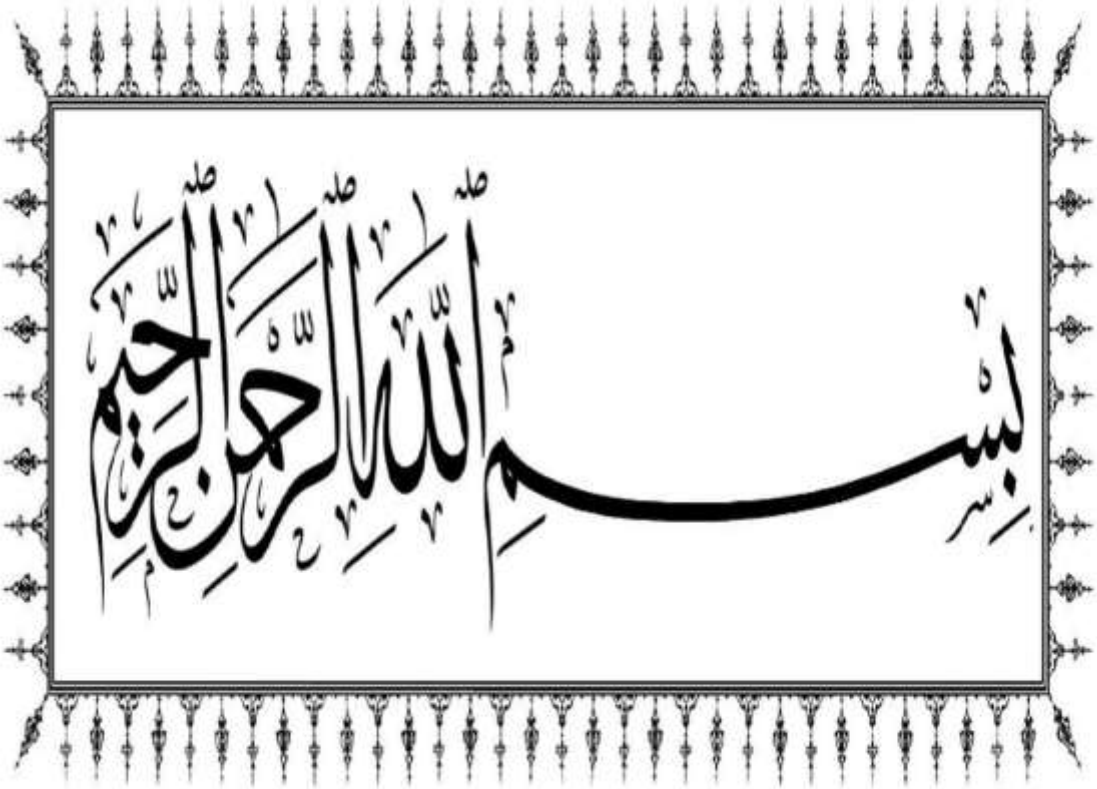
بسم الله الرحمن الرحيم

شكـــر وعـــرفان

بسم الله الرحمن الرحيم :

" فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ "

(سورة البقرة / 152)

أشكر الله سبحانه عزّ وجلّ وافر الشكر، على توفيقه لي، والذي منحني القوة والصبر لإتمام هذا العمل المتواضع .

أقدم أسمى آيات الشكر والعرفان بالجميل، إلى الأيدي المعطاءة، إلى من لم يدّخر جهداً لتزويدي من بحر معلوماته وخبراته الواسعة والتي أنارت بحثي وسهّلت دروبه، الأستاذ الدكتور:زين الدين مختاري.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى العيون الساهرة و العقول النيرة ، أنتم أعضاء اللجنة الكريمة :

- رئيس اللجنة، الأستاذة الدكتورة: ابن هاشم خناتـــة.

- الأستاذة المناقشة، الدكتورة: بن زرقة شهيناز.

فأسأل الله العزيز أن يجازيكم خير الجزاء. وفي الأخير إن أصبت فمن الله و إن أخطأت فمن نفسي، فأرجوا أن تتسع صدوركم الرحبة هذا اليوم، وفي الختام نسأل الله أن أكون عند حسن ظنكم بي.

مقدِّمـــة

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم والصلاة والسلام على البشير النذير و السّراج المنير سيدنا محمد "صلى الله عليه وسلم" سيّد الأسياد المبعوث فينا رحمة. مَحَى الله به ظلمات الجهل والكفر وأزَال معالم الوثنية والظلال وأَعلَى منار التوحيد والإيمان وعلى آله وأصحابه شموس العلم والعرفان و التابعين له بإحسان إلى يوم الدّين أما بعد :

- الأدب العربي مرآة أمة، وبستان وافر الظلال يقصده المرء طلبا للراحة ، بل هو متحف عرضه المشرق والمغرب ة، وعلى رفوفه ملايين التحف ولعلّ أبرزها " رسالة الغفران " لأبي العلاء المعري، إنّه أعجوبة زمانه، وكأنّه من خوارق الخلق الذين يحار فيهم الواصفون ويستكثرون قدرتهم على الأدميّة، فيردون تلك القدرة تارة إلى الإعجاز الإلهيّ وتارة إلى السحر والكهانة وتارة إلى فلتات الطبيعة[1].

- كانت رغبتي ملحة في إمكانية التوفيق بين الدراسة النظرية والتطبيقية لرسالة الغفران، وما تطلّبته هذه الأخيرة من تمحيص وتدقيق ومن جهد غير قليل ووقت غير قصير .

- إختياري لشخصية أبي العلاء المعري ورسالته "الغفران" كان مبنيا على جملة من العوامل أهمها:

1- ولع ورغبة في الكشف عن أسرار و خبايا شخصية - رهين المحبوسين -.

2- حبّي الشديد لرسالة الغفران لأنّ مصادرها مستوحاة من الأساطير العربيّة كحكايات الجنّ والغيلان على ألسن الحيوان والتي تنطق بالأخبار والشعر وأحاديثهم عن الشعراء وشياطينهم. القصص القرآنية بالأخص منه حكاية الخضر في سورة الكهف وسورة الجنّ، قصة الإسراء والمعراج، إستعانته بالقصص الهندية الفارسية مثل كليلة ودمنة وأسمار الجهشياري، وقصة "سلامات وأبسال".تأثره الشديد برسائل الجاحظ الساخرة والتي مدته بعنصر السخر اللاذع.

3- أصبحت "رسالة الغفران" همًّا مؤرقاً، وقراءتها عملية شاقة تحتاج إلى قارئ حاذق مزوّد بأسلحة معرفية وثقافية ونقدية لكي يصل إلى كنهها ومعانيها المشفرة.

[1] - عباس محمود العقاد، " أبو العلاء المعري"، مؤسسة هنداوي، ص24.

4- محاولة الكشف عن منطلق تفكير المعري في بناء هذه الرسالة. هل فعلا بنى رسالته على المنهج العلمي المبني على قانون التجربة وإنعكاساتها؟ أم على قانون النفي و الإثبات؟

5- لغته الهجينة، الصخرية والتي لها دلالاتها ومفاهيمها وبلاغتها ونحوها، وعبثا نحاول الإهتداء إليها وسط الدُجنة اللفظية المحيط به.

- ومما زادني تحمُسًا للخوض في غمار هذه الرحلة، هي نوعية الدراسة السياقية لرسالة الغفران، فقد ألفيت بعض المحاولات النقدية مبثوثة في كتب النقاد والدارسين القدماء والمحدثين.

- إنّ دراسة النقد السياقي لرسالة الغفران يهدف للكشف عن المؤثرات التي تمتد خلف التركيبات المرئية للعمل الفني من حيث المؤثرات البيئية والثقافية المحيطة بالعمل الأدبي والظروف الحياتية للمؤلف، و لهذا أحاول الإجابة عن عدة تساؤلات و هي ;

- ✓ كيف نقرأ رسالة الغفران؟
- ✓ ما هي الأدوات الإجرائيّة التي أستطيع فك رموزها وكشف ألغازها؟
- ✓ هل رسالة الغفران تعكس الشخصية المضطربة للرجل؟
- ✓ ما مدى وعي النقاد والدارسين بأهمية وخطورة الرسالة؟
- ✓ هل الرسالة تحمل نظرة إستشرافية ؟

- نظرا لطبيعة الموضوع الذي يجمع الجانب الأدبي واللغوي لرسالة الغفران، الأمر الذي مكنني من وضع خطة. إنقسم البحث فيها إلى مقدمة ومدخل وثلاثة فصول فخاتمة.

- فالمدخل خصص للحديث عن تأصيل مصطلح النقد السياقي (المفهوم اللغوي والإصطلاحي) وتمثلاته المعرفية .

- أما الفصل الأول المعنون بحياة أبي العلاء المعري، ثقافته وآثاره، كما وقفنا على المكانة التي تَبوأها من الحركة الأدبية آنذاك.

- ثم الفصل الثاني والذي هو "قراءة تأملية لرسالة الغفران" فقسمته إلى مبحثين، أوردت في المبحث الأول محتوى للرسالة و ذكر للأهم المصادر والمراجع المعتمدة فيها، أما المبحث الثاني فهو

البحث في دوافع كتابة الرسالة، إستقراء لمضمونها وقيمتها الفنية من حيث أسلوب كتابتها، وأهم الجهود اللغوية فيها، وإنتقلت إلى إستشراف عناصر الحداثة في بناءها وأراء النقاد والمحدثون والقدماء فيه و في رسالته.

- أمّا الفصل الثالث فكان دراسة تطبيقية لرسالة الغفران، لإستخراج السياقات النقدية الموجودة فيها. حاولت الوقوف على السياق التاريخي والاجتماعي والنفسي واللغوي.

- وذيلت بحثي بخاتمة كانت خلاصة لأهم النتائج التي توصلت إليها.

- لم تكن الرحلة خالية من المصاعب أهمها :

- ✓اتساع الفكر النقدي في الرسالة، تعدد المفاهيم والثقافات، القواعد النّحوية والصرفية والعروضية، القصائد الشعرية، وكثرة روافدهم وعصورهم، الجاهلية، المخضرمين، الإسلاميين، الأمويين و العباسيين.
- ✓صعوبة في فهم الرسالة، بنيتها، فهي تتسم بعمق نسيجها النّصيّ الطافح بالشعرية والقابل للحياة والاستمرارية، على نحو يحتاج معه إلى دقة في التحليل ورؤية حداثية في القراءة الإستنتاج.
- ✓كثرة المصادر والمراجع، مما أدخلني في دائرة الحيرة لإختيار الأفضل والأحسن.
- ✓اقتضت طبيعة الدراسة اعتماد المنهج الوصفي التحليلي القائم على التحليل والاستقراء نظرًا لتعدد مشارب البحث، إسقاط المناهج السياقية على الرسالة، ومدى تأثيرها على مجرى الأحداث والمنهج التاريخي والإجتماعي والنفسي.

- وفي الأخير أملي كبير أن يكون هذا البحث أماط اللثام عن الرجل، واستردَّ القيمة التي يستحقها. فهو لبنة متواضعة في صرح الدراسات النقدية الحديثة. وأن أكون قد وفقت في لفت الانتباه لجوهرة ضائعة - رسالة الغفران - وسط أمواج متلاطمة.

و ما توفيقنا إلا بالله وهو الموفق وهو المعين، وأن يسدد خطانا لما فيه صلاح حالنا.

المدخل:

تأصيل مصطلح النقد السياقي

I. دراسة مصطلح النقد

II. دراسة مصطلح السياق

III. النقد السياقي

IV. التمثلات المعرفية

I. دراسة مصطلح النقد:

1. مفهوم النقد:

أ.لغة :

– جاء في لسان العرب" أن النقد هو تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها "[1] وهو أيضا تمييز الجيد عن الرديء في شيء ما، ويقال : "نقد الكلام نقدا أي:ذكر مميزاته وعيوبه " وبتوضيح أكبر هو "ذكر محاسن و عيوب الشيء !! " وهذا يعني أن "الثناء" يعد نقدا بعكس ما هو سائد لدى الكثيرين بأن النقد مخصص لإظهار العيوب .. !

ب.إصطلاحا :

– يعد مفهوم النقد إصطلاحا من المفاهيم التي حظيت بالكثير من الدراسات الأكاديمية، خاصة في مجالات النقد الأدبي والفني، ومع ذلك فإن كثيرا من النقاد والدارسين يذهبون إلى التأكيد على صعوبة الإمساك بمصطلح النقد.[2]

– وقد ورد في معجم المصطلحات العربية : "أن النقد فن تقويم الأعمال الفنية والأدبية وتحليلها تحليلا قائما على أساس علمي وهو الفحص العلمي للنصوص الأدبية[3]" من حيث مصادرها وصحتها وإنشائها وصفاتها وتاريخها.

– وفي تعريف آخر للنقد يتمحور حول سعيه كي يكون علما موضوعيا من خلال الإستعانة بالعلوم التجريبية و الإنسانية المختلفة ويأخذ منها دون أن يذوب كليا فيها، ولذلك فهو إستعمال منظم للأدوات والوسائل من مختل هذه العلوم والمناهج .

– يعرف عبد السلام المسدي النقد قائلا : "...هو إكتشاف جديد لمادة الأدب عن طريق مقاييس العقل وضوابط المنطق وأدوات الإدراك بغية الوعي بخياب الظاهرة الجمالية، فكان لابد لهذا النقد

[1] – إبن منظور، "لسان العرب"، بيروت دار الملايين، ج 14 ص 254

[2] – بن فرحات إدريس، العيد جلول، "مفهوم النقد و خصائصه" عند عبد السلام المسدي، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، العدد 26، سبتمبر 2016.

[3] – مجدي وهبة وكامل المهندس، "معجم المصطلحات العربية"، دار النشر مكتبة لبنان جزء الاول ص67.

من مصطلحات تعكس تلك الدقة وتكشف مكامن الإدراك فيه وهذا الذي حرص النقاد العرب قديما على إتمامه "[1].

– أما الدكتور عبد المالك مرتاض يعرفه قائلا: " ليس النقد مجرد إصدار أحكام ساذجة أو متحيزة أو حتى نزيهة وموضوعية ولكنه أمسى ممارسة معرفية شديدة التعقيد ولا تجتزئ بإصدار الأحكام الجاهزة للنص الأدبي أو عليه ، ولكنها تعتمد إلى تحليل الظاهرة الأدبية ضمن جنسها الأدبي وتأويلها بواسطة شبكة من الإجراءات والأدوات المعرفية ...لقد أمسى النقد الأدبي جهازا معرفيا لا ينفك يتعقد ويتعمق كلما أوغلنا في المعرفة الإنسانية المتطورة "[2]

– ويعرف بأنه التعبير المكتوب أو المنطوق من متخصص يسمى (الناقد) عن سلبيات وإيجابيات أفعال أو إبداعات أو قرارات يتخذها الإنسان أو مجموعة من البشر في مختلف المجالات من وجهة نظر الناقد، كما يذكر مكامن القوة ومكامن الضعف فيها وقد يقترح أحيانا حلولا مناسبة لها.[3]

2. تطور مفهوم النقد:

عرف النقد في كل الثقافات القديمة منها:

أ.العربية: مر النّقد العربي بمراحل عدة نجملها في الآتي:

– **النقد عند العرب في الجاهلية:**كان تأثريا آنيا يعتمد على الذوق الفطري ويتضمن أحكاما جزئية وتعميمات ومبالغات كثيرة وليست له قواعد محددة .

– **في صدر الإسلام:** أحدث الإسلام إرتقاءاً في الفكر والذوق عند العرب، فتقدم النقد الأدبي خطوة إلى الأمام، وظهرت أحكام نقدية فيها شيء من التدقيق والتعليل، تهتم بالصدق والقيم الرفيعة في العمل الأدبي (المعيار الأخلاقي).

[1] – عبد السلام المسدي، "الخطاب النقدي " ، كلية الآداب و الفنون جامعة الشلف، المجلد 4 العدد 11، جوان 2016.

[2] – عبد المالك مرتاض، "في نظرية النقد"، دار هومة الجزائر 2002، ص120.

[3] – د.حياة عمارة، "المحاضرة الأولى : الفكر النقدي العربي القديم"، ص2 – ماستر (1).

– **في القرن الثاني للهجرة حتى القرن الخامس للهجرة** : نضج النقد عند العرب وظهر نقاد بارعون صنفوا مؤلفات كثيرة دقيقة، وعالجوا قضايا نقدية أساسية.

– من أشهر نقادها : محمد بن سلام الجمحي (ت 231ه)(صاحب كتاب "طبقات فحول الشعراء"، إبن قتيبة (ت276ه)، والجاحظ (ت255ه) الذي ضمن آرائه النقدية في كتابيه :"البيان والتبين " و"الحيوان" والحسن بن بشر الآمدي (ت. 370ه) صاحب كتاب (الموازنة بين أبي تمام والبحتري "والقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني(ت 392ه)،"، وقدامه بن جعفر (ت337ه) صاحب كتاب (نقد الشعر)، ابن رشيد القيرواني (ت456ه) صاحب كتاب (العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده "" وعبد القاهر الجرجاني صاحب كتاب " دلائل الإعجاز " "أسرار البلاغة " وغيرهم.

ب.الأوروبية :

– أما في الثقافة الإغريقية عرف في القرن الرابع قبل الميلاد، وعبرت عنه كلمة "kritikos" التي تعني إصدار حكم على الفن والأدب. مع العلم أن الإغريق قد إهتموا بالفنون والآداب وأعلوا من شأنها .

– أما في عصر النهضة إستخدمت كلمة النقد الفني في إيطاليا وإنتشرت في فرنسا منذ أوائل القرن السابع، في القرن الثامن عشر فإتسع مفهوم النقد ليشمل معنى التعقيب " Commentaire " على أداء شيء ما على نحو جيد أو رديء، كما عرفته الموسوعة البريطانية بكونه إصدار حكم على القيمة الجمالية والجودة في الإنتاج الفني.[1]

3. أنواع النقد:

– أصبح النقد ضرورة من ضروريات الحياة، لا نستغني عنها ، تتطلب التقدم ومحاولة التخلص من النقص والتخلف فمن الطبيعي أن نتناول جميع مقوماتها العلمية والفنية والاجتماعية والسياسية،

[1] – عطية محسن محمد، "نقد الفنون الكلاسيكية إلى عصر ما بعد الحداثة"، الإسكندرية منشأة المعارف، ص 200.

لعله يصلح ما فسد، ويهدي الباحثين والعاملين إلى أهدى السبل وأسمى الغايات، ولهذا إختلف النقد وتعدد بتعدد نواحي الحياة منها:

01- النقد السياسي :

يتخذ مقاييسه من أصول الحكم والقوانين الدولية والبراعة التي تفيد الدولة وتدعم سلطاتها داخليا وبين الدول جميعا.

02- النقد الاجتماعي :

الذي يعتمد في كيانه على تقاليد الأمة ويحمي أفرادها وأسرها وأخلاقها من الفساد من التدهور ويجمع الأفراد الصالحين لمسايرة التقدم والنجاح.

03- النقد المعرفي :

هو النظر في إمكانية وشروط المعرفة وحدودها وهو عموما عدم قبول القول أو الرأي قبل التمحيص، وينقسم إلى نوعين عامين: نقد خارجي وهو النظر في أصل الرأي، ونقد داخلي وهو النظر في الرأي ذاته من حيث التركيب والمحتوى.

04- النقد العلمي :

فهو متصل بالطبيعة والكيمياء والرياضيات، وخاضع للمناهج النظرية والتطبيقية والتكنولوجية التي وضعت لكل علم، إن كانت كلها مشتركة في صحة المقدمات وسلامة التجارب ودقة الإستنباط، والتجرد من الذاتية ، فالمسائل العلمية ظاهرة عقلية موضوعية تتناول الحياة كما هي في الواقع دون أن يكون للذوق أو المزاج فيها نصيب.

05- النقد الفني :

خاضع للفنون الرفيعة كلها من رسم وتصوير وأدب وموسيقى ونحت، ومن ذلك صدق التعبير، وقوة التأثير، وجمال الخيال، ومراعاة التناسب، فهو متأثر بالذاتية أي بهذا الذوق الفني لكل ناقد.

06- النقد الأدبي :

يعد جزء من النقد الفني، وهو خاص بالأدب، أي تفسير الأدب وإيضاحه، ويعتمد على :

أ. النقد التاريخي :

وهو يشرح الصلة بين الأدب والتاريخ، فيتخذ من حوادث التاريخ السياسي والاجتماعي وسيلة لتفسير الأدب وتعليل ظواهره وخواصه .

ب.النقد الشخصي :

هو الذي يتخذ من حياة الأديب وسيرته وسيلة لفهم آثاره وفنونه وخواصه الغالبة عليه، والأدب الصادر عنه، فيسهل بذلك شرحه وتعليله وأوصافه .

ج. النقد الفني :

يريد فهم طبيعة الأدب وبيان عناصره وأسبابه، جماله وقوته ورسم السبيل الصالح للقراءة والإنشاء.

وهناك من يرى أنواع أخرى للنقد هي :

د. النقد بواسطة القواعد :

تقدير العمل الفني، يجب أن يبني على معايير للجودة الفنية يقيس من خلالها جودة المحتوى.

✓ **النقد السياقي :**

هوالذي يبحث في السياق التاريخي والاجتماعي والنفسي للفن .

✓ **النقد الإنطباعي :**

يرفض هذا النوع الوظائف المألوفة للنقد ولا يبالي بالموضوعية، كما يرفض القواعد النقدية، فالناقد الإنطباعي يحتكم إلى ذوقه الشخصي ومزاجه ومدى قدرته على التأثر بعمق الموضوعات .

✓ **النقد القصدي :**

يبحث مباشرة في قصد الفنان أو الشاعر أو الكاتب، فيركز نقده حوله ويعرف كيف حقق مقصده .

✓ **النقد الباطن (النقد الجديد) :**

يركز على الطبيعة الباطنية للعمل وحدها ويتجنب ما يقع خارج العمل[1].

4. أسس النقد :

أ.الإطلاع :

يجب أن يطلع الناقد على البيئة الاجتماعية والثقافية والسياقات التي صدرت فيها الأعمال والنصوص محل النقد .

ب.الموضوعية :

لا يكون بناء النقد بناء على تخيلات أو تحليلات أو استنتاجات مجهولة ... فإن لم تكن تملك حقائق قاطعة، فالأفضل لك أن تتجنب النقد.

ج. التجرد :

الناقد قاض يحكم على الأفعال، الأقوال، وعلى القاضي أن يتجرد من كل ما من شأنه أن يؤثر في حكمه على الشخص أو العمل محل النقد، كالمواقف الشخصية وغيرها من المؤثرات التي قد تغير موازين القياس في حكمه.

د. النزاهة :

[1] – جيروم ستولنتير، (ترجمة فؤاد زكريا) "النقد الفني دراسة جمالية".دار الوفاء للطباعة و النشر الاسكندرية مصر الطبعة الاولى 2007م ص66

لا يمكن أن يتصف الناقد بالنزاهة إذا لم يكن صادقا، موضوعيا ومتجردا من إنطباعيته الذاتية ومزاجيته في الحكم على الأشخاص أو الأفكار و الأعمال.

٥. التواضع :

الناقد ينتقي أعذب الألفاظ وأحسنها، فلكي يكون نقدك بناءا لابد أن يكون هناك درجة من التواضع و الإحترام للآخرين.

-النقد قائم في كل وقت كونه أداة "تطوير" لا تدمير، وطالما أن النقد ليس به "تضخيم" و لم يتحول إلى "إساءة" فهو صالح لكل وقت وكل زمان.

5. أهمية النقد :

– للنقد قيمة كبيرة، إذ هو يقوم النص الأدبي، ويميز جيده من غيره ويحلله ويدرسه على ضوء أدوات النقد الأدبي ومعادلاته الخاصة و التي منها:

– الذوق السليم والتجربة الشخصية والقواعد العقلية ومعرفة اللغة العربية وقواعدها والإحاطة بأساليب البيان، بعيدا عن كل نزعة وتعصب أو ميول نفسي، ومن ثم الحكم على النص من خلال قراءته وملاحظة عناصره الأخرى وهذا هو شأن الدراسات النقدية الأدبية البناءة الهادفة، والتي تعد ثروة فكرية لا غنى عنها في عالم الأدب.

– أما الناقد الصادق والنزيه يهدف إلى تطوير الأعمال والأفكار، والإرتقاء بها، سواءا في مجال الأدب أو الفن أو الشعر أو الفلسفة أو في الميادين العلمية.

II. دراسة مصطلح السياق :

1.مفهوم السياق:

أ.لغة :

يقول ابن فارس (ت360ه) : السين و الواو و القاف أصل واحد وهو حذو الشيء: ويقال: ساقه يسوقه سوقا والسيقة ما استيق من الدواب ويقال سقت إلى إمرأتي صداقها، وأسقته والسوق مشتقة من هذا ، لما يساق إليها من كل شيء والجمع أسواق والساق وللإنسان وغيره وجمعه سوق، وإنما سميت بذلك لأن الماشية ينساق عليها، ويقال : امرأة سوقاء ورجل أسوق إذا كان عظيم الساق والمصدر السوق: سوق الحرب : حرمة القتال.[1]

- **والسيق من السحاب** : ما ساقته الريح وطردته. أما السويق : طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير وتسمى بذلك لانسياقه في الحلق (ج) أسوقه السياق : المهر[2].
- **ومن المجاز** : ساق الله إليك خيرا، وساق إليها المهر وساقت الريح السحاب : وأردت هذه الدار بثمن فساقها الإله إليك بلا ثمن .
- والمحتضر يسوق سياقا، وفلان في ساقه العسكر: في آخره وهو جمع كقادة من قائد ...
- و ولدت فلانة ثلاثة بنين على ساق واحد ، بعضهم في إثر بعض ليس بينهم جارية[3].

ب.أما في الإصطلاح :

- فسياق يدل على تتابع للكلام وأسلوب الذي يجري عليه، فهو يقصد به حوار الكلمات في التلاصق الركنيي و هو ا لجمل في الملفوظ أي ما يسبقها وما يلحقها من مفردات وعادة يعتبر العامل النحوي في تركيب الكلام مظهرا سياقيا .

-كما يقصد به مجموعة العوامل والظروف الاجتماعية، وخاصة الثقافية التي تحيط وأحاطت بالمتكلم والسامع ، و لذلك تنعت بعوامل و ظروف (مواقفية) كما يقال "سياق مواقفي"[4].

-إن أهم سؤال وجب علينا طرحه هو: كيف يتشكل السياق ؟

---

[1] – أبو الحسين أحمد بن فارس "معجم مقاييس اللغة"، تحقيق عبد السلام محمد هارون، د–ط دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، ج1 ص117 مادة سوق.

[2]– إبراهيم و عطية الصوالحي و عبد الحليم منتصر و محمد خلف الله الأحمر، "المعجم الوسيط"، د–ط دار الفكر د.ت، ج1–2– ص464 مادة سوق.

[3] – الزمخشري، "أساس البلاغة"، دار الصادر للطباعة والنشر بيروت، 1385ه–1965م، ص314 مادة سوق.

[4] – عدنان بن ذريل، "اللغة و الدلالة– آراء و نظريات"، د.ط– منشورات دار الكتاب العرب دمشق، 1981، ص159.

-والإجابة نقول : قبل ان تلج الكلمة عالم التراكيب لتندمج مع كلمات أخرى، فترتبط معها بمجموعة من العلاقات لتكوين السياق، تمر بمرحلتين هما : فصاحة اللفظ وبلاغة السياق وتمام الدلالة.

-يبحث اللفظ أولا عن فصاحته في المعجم، فهي –الفصاحة- لا معنى لها سوى التلائم اللفظي وتعديل مزاج الحروف وحتى لا يتلاقى في نطق الحروف تثقل على اللسان[1].

- وهذا ما لاحظه الجاحظ (ت250ه) : من أن بعض ألفاظ العرب ألفاظ تنافر، وأن كانت مجموعة في بيت شعر لم يستطع المنشد إنشادها إلا ببعض الإستكراه فمن ذلك قول الشاعر :

و قبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

- لما رأى من لا علم له، أن أحدا لا يستطيع أن ينشد هذا البيت ، ثلاث مرات في نسق واحد فلا يتلعثم و لا يتلجلج و قيل لهم : إن ذلك إنما اعتراه[2] فتلائم الحروف وجها من وجوه الفضيلة، وداخلا في عداد ما يفاضل به بين كلام وكلام، لأنه ليس بأكثر من أن يعمد إلى الفصاحة، فإن قال: إني أجعل تلاؤم الحروف معجزا حتى يكون اللفظ مع ذلك دالا، وذلك أنه إنما تصعب مراعاة التعادل بين الحروف، ولذلك فاللفظ السليم ليس في حروفه استكراه[3] الفصاحة لا تكون صفة للفظ بمعزل عن معناه وهذا ما أكده ابن جني (ت 392ه) حين قال : " جعلت الألفاظ أدلة على إثبات معانيها "[4] وأيد عبد القاهر الجرجاني (ت471ه) :

بقوله :"لا تخلو الفصاحة من أن تكون صفة في اللفظ محسوسة تدرك بالسمع أو تكون صفة فيه معقولة تعرف بالقلب "[5].

[1] – عبد القاهر الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، تحقيق محمد رضوان الداية و محمد الداية، ط1 دار قتيبة ، 1403ه-1983م، ص46.

[2] – أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، "البيان و التبيين"، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط4 مكتبة الخانجي بمصر، 1395ه-1975م، ص65.

[3] – "دلائل الإعجاز"، ص48.

[4] – أبو فتح عثمان بن جني، "الخصائص"، حققه محمد النجار، ط2 دار الهدى للطباعة و النشر لبنان بيروت، د.ت ج1-2 ص100.

[5] – "دلائل الإعجاز"، ص21.

– كما تحمل الكلمة دلالات لا تبين إلا إذا دخلت التركيب، لأنها كانت في بداية الأمر خاضعة للدلالة المعجمية ضيقة المجال، فهي أصل المادة اللغوية، تتشكل في صيغ ظرفية، فتأخذ بعدا خاصا مع كل وزن من الأوزان بالإشتراك في معنى أساسي واحد، بعد ذلك تلاحظ القيمة الوظيفية النحوية التي تضاف إلى الكلمة عندما تحل في ركن من أركان الجملة أو العبارة، وهنا تظهر الحاجة إلى تجاوز دلالة الكلمة المفردة أي بعد إدراك البعدين الأولين: المعجمي والصرفي.

– تكتسب الكلمة دلالاتها المتميزة من تفاعل التصور فيها مع التصورات الأخرى من الأسماء والصفات والأفعال في جو معين من علاقات زمنية ومكانية وشخصية.

– وبهذا يكتمل السياق بأبعاده اللغوية والنحوية والآفاق التصورية فتبرز ظلال المعنى، إن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظ لمعنى الكلمة التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ[1].

– يبحث السياق عن بلاغته عن طريق اللغة الوصفية القائمة على وصف بنية الجمل، بالكشف عن كيفية إرتباط المعنى أو المدلول بمجموعة من الإشارات الحسية، الصوتية، أو الكتابية، فكلما عكفنا على دراسة بنية الجملة تيسر لنا الكشف عن العلاقات الحقيقية بين الشكل والمضمون أو المعنى والمبنى، وكلنا كنا دقيقين في الوصف حددنا التداخل الحاصل بين الشكل الصوتي أو الكتابي والصورة الدلالية.

2.أنواع السياقات:

– اللفظ الواحد تتعدد معانيه بتعدد السياقات المختلفة التي تردفيها. فالمعنى عند أصحاب المنهج السياقي لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة يشرح أصحاب هذه النظرية وجهة نظرهم بقولهم : "معظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات

[1] – "دلائل الإعجاز"، ص14.

أخرى، أن معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى، التي تقع مجاورة لها "[1].

– لقد اقترح " k.ammer " تقسيما للسياق ذا أربع شعب يشمل على :

أ. السياق اللغوي : « Linguistic Context »

– و يمكن التمثيل له بكلمة « good » (الإنجليزية) مثلها كلمة (حسن) العربية أو (زين) العامية التي تقع في سياقات لغوية متنوعة وصفا لـــ :

✓ **أشخاص** : رجل، امرأة، ولد.

✓ **أشياء مؤقتة** : وقت، يوم، حفلة، رحلة.

– والكلام لا يستحق إسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه. ولا يكون لفظه أسبق إلى سمعك من معناه إلى قلبك: ويدخل في الأذن، بلا إذن: فهذا مما لا يشك العاقل في أنه يرجع إلى دلالة المعنى على المعنى، وأنه لا يتصور أن يراد به دلالة اللفظ على معناه الذي وضع له في اللغة[2].

– لقد وجدنا عبد القاهر الجرجاني يشترط بأن يكون المعنى الأول الذي تجعله دليلا على المعنى الثاني ووسيطا بينك وبينه متمكنا من دلالته مستقلا بوساطته يسفر بينك وبينه أحسن سفارة[3].

– إذا جمعت الجملة بين فصاحة اللفظ وبلاغة السياق حدث تمام الدلالة، وهذا هو الأمل والهدف المنشود دائما في كلام العرب، وهذا ما أكده الجاحظ يقوله "على قدر وضوح الدلالة ، وصواب الإشارة وحسن الإختصار ودقة المدخل يكون إظهار المعنى، وكلما كانت الدلالة ظاهرة على

[1] – "اللغة والدلالة اراء و نظريات اعدنان بن دريل منشورات دار الكتاب دمشق 1981,"، ص69-70.

[2] – "دلائل الإعجاز"، ص186.

[3] – "دلائل الإعجاز"، ص187.

المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله عزّوجل، يمدحه ويدعو إليه، وبذلك نطق القرآن وبذلك تفاخرت العرب وتفاضلت أصناف العجم "[1].

✓ **مقادير** : ملح ، دقيق ، هواء ، ماء.

-فإذا وردت في سياق لغوي مع كلمة (رجل) كانت تعني الناحية الأخلاقية، وإذا وردت وصفا لطبيب مثلا (كانت تعني التفوق في الآداء وليس الناحية الخلقية).

ب. سياق الحال « context of situation »

هو مجموعة من الظروف التي تحيط بالكلام، إن التحديد المعنى المقصود لا يتم إلا بمعرفة هذه الظروف، وهذا ما أكده ابن جني حين قال: " إن المعاني قد لا يوصل إليها إلا بالظروف التي أحاطت بها ومن ثم لا ينبغي أن يكتفي اللغوي (بالسماع) بل ينبغي أن يجمع إليه الحضور والمشاهدة، أي كل ما يحيط بظروف الكلام "[2].

– إن العوامل والظروف التي تؤثر في المعنى عند ابن جني هي النبر والتنغيم والإستعانة بإشارات من الوجه أو اليدين أو غير ذلك، فحدثت الصفة ودلت الحال عليها وذلك من قولهم : سير عليه ليل وهم يريدون ليلا طويلا، وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دل هذا الحال على موضعها وكذلك نقول: سألناه، فوجدناه إنسانا! وتمكن الصوت بإنسان وتفخمه، فتستغني بذلك إن ذممته، ووصفته بالضيق فقلت: سألناه فكان إنسانا وتزوي وجهك وتقطبه، فيعني ذلك عن قوله: إنسانا لئيما أو لحزا أو مبخلا أو نحو ذلك "[3].

[1] – "البيان و التبين"، ج1 : ص76.

[2] – "الخصائص"، ج1 ص248.

[3] – "الخصائص"، ج2 ص370.

– ويمكن أن تخفى علينا أسباب التسمية لبعدها في الزمان، كقول سيبويه (ت180هـ) : "ألعّل الأول وصل إليه علم لم يصل إلى الآخر"[1].

– ويعني ما نحن عليه من مشاهدة الأحوال والأوائل، وأن يكون الأول الحاضر شاهد الحال، فعرف السبب الذي له ومن أجله ما وقعت عليه التسمية والآخر –لبعده عن الحال– و لم يعرف السبب للتسمية والألفاظ المنقولة إلينا قد كانت لها أسباب لم نشاهدها، و لم ندر ما حديثها وخير مثال قولهم : "(رفع عقيرته)" إذا رفع صوته، فمعنى الصوت لبعد الأمر جدا، هو أن رجلا قطعت إحدى رجليه، فرفعها ووضعها على الأخرى، ثم نادى وصرخ بأعلى صوته فقال الناس:رفع عقيرته أي رجله المعقورة"[2].

– يبدو أن "فيرث" قد أجمل ما جاء به ابن جني في تعريفه للسياق الحال حين أكد على جملة العناصر التي يجب توافرها، والمكونة للموقف الكلامي، فمن هذه العناصر "شخصية المتكلم والسامع أن وجدوا بيان ما لذلك من علاقة بالسلوك اللغوي، وكل العوامل والظواهر الاجتماعية، ذات العلاقة باللغة والسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي كحالة الجوّ وإن كان لها دخل وكالوضع السياسي وكمكان الكلام"[3] أن المعنى السياقي هوما يوضحه سياق الحال و يشمل :

1. النشاط اللغوي للمشتركين.
2. النشاط غير اللغوي للمشتركين "الصمت، الضحك، الإشارة".
3. الأشياء التي قد يكون لها تأثير.
4. أثر الكلام (هل كانت استجابة بالكلام أو بغير الكلام) ولتوضيح هذه النظرية في دراسة المعنى، فعبارة (الله يعوض عليك) لا تفهم إلا إذا شرحت في سياقها وتكون عناصر السياق :

[1] – "الخصائص"، ج1 ص284.

[2] – "الخصائص"، ج2 ص370.

[3] – عبده الراجحي، "فقه اللغة في الكتب العربية"، د.ط منشورات جامعة الإسكندرية د.ت، ص163.

أ.بائع و مشتري :

1) المشتري يطلب شراء شيء ويدفع الثمن.

2) البائع يعطيه المطلوب و يقبض ثمن البضاعة ويقول: (الله يعوض عليك).

3) ينصرف المشتري على إثر الكلام .

– أما العبارة ذاتها تدل على موقف آخر: شخصين يعرف أحدهما بأنه حزين جدا يحاول أن يواسيه في الحزن ويقول: (الله يعوض عليك) فيقول الآخر عبارة مثل: ((الحمد لله))[1] .

ج. السياق العاطفي :

يحدد درجة القوة، الضعف، ويقتضي تأكيدا أو مبالغة فكلمة يكره غير كلمة يبغض[2].

د. السياق الثقافي :

يحدد المحيط الثقافي و الاجتماعي الذي نستخدم فيه الكلمة[3].

III.النقد السياقي:

– النقد السياقي (contextual criticisme) أي تحليل النص دون ضغوط خارجية، وهي تسمية جديدة لما يعرف بالنقد الجديد في الولايات المتحدة خاصة. أي النقد الشكلاني الداعي إلى قراءة النص وتحليله بمعزل عن أي عناصر داخلية ومن ضمنها النصوص الأخرى.

– لقد ذهب الدكتور "طالب سلطان حمزة راشد الحميري " في تعريفه نفس المنحى حين قال: " النقد السياقي هو ذلك النوع من النقد الذي يبحث في السياق التاريخي والإجتماعي والنفسي للفن ... فهو يدرس الظروف التي ظهر فيها العمل وتأثيراته في المجتمع، يشمل جميع العلاقات المتبادلة بين العمل والأشياء الأخرى، فهذا الإنسان له سمات فنية معينة، وكان يعيش في مجتمع

[1] – أحمد عبد الرحمان حماد، "عوامل التطور اللغوي"، ط1 دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزيع لبنان بيروت، 1403ه–1983م، ص156.

[2] – عدنان بن دريل، "اللغة والدلالة آراء ونظريات"، منشورات دار الكتاب العرب دمشق 1981 ص69–70.

[3] – المرجع نفسه.ص80

لابد أن نظمه وقيمه أثرت في تفكيره وكيانه، وكانت له إنتماءات سياسية وإقتصادية وعنصرية ما "[1].

– فأصبح النقد السياقي يعتبر الأعمال الفنية نواتج إجتماعية، فتعكس رموزها سمات العصر التي تنتمي فيه و هكذا ينظر إلى الفن على أنه تجربة و ظاهرة تجريبية[2].

IV.التمثلات المعرفية :

1. النقد الأدبي :

كان النقد في مرحلته الكلاسيكية نقدا معياريا ، يعتمد على قواعد محددة لا يمكن أن يحيد عنها، منها قاعدة نقاء النوع الأدبي وضرورة وحدة الزمان والمكان، ووحدة الحدث في الدراما وقد سادت تلك القواعد في النقد الأوروبي طوال الحقبة التي انتشرت فيها مبادئ الكلاسيكية الجديدة إبان القرون، السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر، ونظرا إلى إعتماد ذلك النقد على القواعد المقررة سلفا لم يعن بالتجديد في الأدب ؟ لأن في التجديد خروجا عن تلك القواعد والمعايير.

– وما إن بدأت الرومانسية في الأدب الأوروبي بالظهور حتى رافقها نقد آخر بعيد عن النقد المعياري الذي رافق الكلاسيكية فظهرت تيارات فكرية كثيرة أدت إلى ظهور المناهج السياقية:

– التاريخية منها و الاجتماعية و النفسية.

– شاع النقد السياقي في منتصف القرن التاسع عشر في أوروبا، وإن كانت جذوره تمتد إلى زمن أبعد من ذلك فكرة السياق يراه ستولنيتز" من أقوى أفكار القرن التاسع عشر تأصلا وأعظمها تأثيرا، والمقصود بها هو أن الشيء لا يمكن أن يفهم منعزلا، و إنما يفهم فقط بدراسة أسبابه ونتائجه وعلاقاته المتبادلة ولا شك في أن واحدا من أسباب ظهور المناهج السياقية في موطنها، الأصلي هي الرغبة في التخلص من الأحكام الذاتية يجعل النقد علما أو متشبها بالعلم، إستهداءا بمنطق العلوم الوضعية الصرفة وعلى هذا الأساس كانت المناهج التاريخية واالإجتماعية والنفسية تمضي قدما لدراسة الأدب والفن بتبين العلاقة بين المبدع ومجتمعه وتاريخه وظروفه النفسية.

[1] – أستاذ : طالب سلطان حمزة راشد الحميري، الموقع الإلكتروني "كلية الفنون الجميلة"، جامعة بابل، 2017/10/17.

[2] – المرجع نفسه.ص18

– النقد حوار فاعل بين النص والقارئ وحوار يضفي على النص معنى يشارك فيه الطرفان، وليس للنص معنى بمعزل عن قارئ نشيط يستحثه ويقلب فيه الظن بعد الظن، حتى يصل إلى نتيجة ما ولكي يصل القارئ إلى ذلك المعنى المنشود، لجأ في بعض الأحيان إلى الناقد لعدم إمتلاكه الأدوات والمفاهيم الإجرائية التي تمكنه من ذلك، وفي نهايات القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر، برز نشاط الناقد من خلال إضاءة النص وكشف معانيه التي قصد إليها المبدع أو التي لم يقصد إليها .

– فبرزت المناهج التي تهتم بتاريخية النص وإجتماعيته و واقعيته و أطلق عليها فيما بعد القراءات السياقية " التي ينصب جل عملها نحو المبدع وأثر البيئة والمجتمع، ووضعه النفسي وطبقته الاجتماعية في النص المبدع.

– والقراءة السياقية تنطلق من مواقف أيديولوجية ثابتة وجامدة في بعض الأحيان وتغرق النص بمفاهيم قد تشل النص وتهتم بالمبدع بمعزل عن المتلقي وتحرص على تقديس تاريخ الأفكار وتاريخ الإبداع الفني ومصادر الإلهام والمؤثرات على إختلافاتها وهذا يجعل منها شبكة من الأصول المتماشجة من غير تجانس "

– إن الخطاب النقدي المعاصر شهد تحولات كبرى وعميقة في العقود الأخيرة من القرن العشرين كانت ثمرة للإنجازات العلمية والفلسفية المتلاحقة " فتحولت القراءة النصية من قراءة أفقية معيارية سياقية " إلى قراءة عمودية متسائلة نسقية ".

أ. النقد الأدبي عند القدماء :

– إن النقد الأدبي ليس قضية جديدة في النقد العربي بل هو قضية قديمة تعود إلى بدايات النقد العربي، وكلنا يذكر مقولة أبي تمام عندما سئل: لم لا تقول ما يفهم ؟

فقال: لما لا تفهمون ما أقول !

– كما نحفظ قول أبي الطيب المتنبي في وصفه الشعر:

أَنَامُ مَلْءَ جُفُونِ عَنْ شَوَارِدِهَا وَيَسْهَرُ الخَلْقُ جَرَاهَا وَيَخْتَصِمُ.

– إزدادت هذه الإشكالية تعقيدا في العصر الحديث، فلم يعد النص الأدبي سواءا كان شعرا أو نثرا، مجرد بستان وافر الظلال يقصده المرء طلبا للراحة وإنما أصبح هما مؤرقا. و أصبحت العملية النقدية عملية شاقة تحتاج إلى قارئ حاذق مزود " بأسلحة الفن"[1] حيث يقول الناقد الجزائري (محمد مصايف): " القارئ لا يكتفي بإستهلال النص وإنما يساهم في عملية إنتاجه". وعلى هذا الأساس سنحاول إجلاء صورة النقد الأدبي ببعض التعاريف للنقاد القدامى والمحدثين.

✓**الجاحظ (ت255ه)** : الجاحظ أول من تحدث عن مسألة اللفظ والمعنى في الأدب العربي حينما قال: " المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ"[2].

– فهومن دعاة المواءمة إذ قال: " الأسماء في معنى الأبدان والمعاني في معنى الأرواح، اللفظ للمعنى بدن، و المعنى للفظ روح"[3].

– ولعل الأمر يزداد وضوحا مع ما ذكره هو نفسه في البيان والتبيين : " من أراد معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف".

✓**إبن قتيبة (ت 276ه)**: إستقرأ الشعر العربي فوجده أربعة أضرب متباينة :

1) – ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه.

2) – ضرب منه حسن لفظه وحلا ، فإذا أنت فتشته لم تجد فائدة في المعنى.

3) – ضرب منه جاد معناه و قصرت ألفاظه عنه.[4]

4) – ضرب منه جاد معناه وتأخر لفظه (فهو يمثل الشعر الرديئ).

✓**قدامة بن جعفر (ت337ه)**: ذهب إلى أن العمل الأدبي يجب أن يتميز بإتلاف عناصره النصية، وهذا ما سماه بالمساواة : " وهو أن يكون اللفظ مساويا للمعنى حتى لا يزيد عليه

[1] – عبد الحميد هيمه، "النص الشعري بين النقد السياقي و النقد النسقي"، كلية الآداب و اللغات، جامعة قاصدي مرباح ورقلة،(محاضرة).ص13

[2] – أبو عمرو عثمان الجاحظ، الحيوان"، ج1 ص 91.

[3] – المرجع نفسه.ص92

[4] – إبن قتيبة، "الشعر و الشعراء تحقيق المؤلف احمد محمد شاكر دار المعارف الجزء الاول"، ص 24 –27.

ولا ينقص عنه، وهذه هي البلاغة التي وصف بها بعض الكتاب رجلا : فقال : " كانت ألفاظه قوالب لمعانيه، أي مساوية لها لا يفضل أحدهما على الآخر ... "[1].

✓عبد القاهر الجرجاني و نظرية النظم (ت 471 ه):

– وضع عبد القاهر الجرجاني " نظرية النظم " التي ترى أن الكلام يكتسب فصاحته وبلاغته بتآزر الألفاظ مع المعاني وبتواخي قواعد النحو العربي في صياغة الكلام حيث يقول : " ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت فلا تبخل بشيء منها "[2].

– لقد خاض القدامى في قضايا نقدية متشعبة عجز عن طرحها النقد الحديث وهي نظرية البديع والبلاغة وأشهر نقادها: الخطيب القزويني (ت 739ه)، كتاب " الإيضاح " في علم البلاغة والذي سبقه السكاكي في كتابه " مفتاح العلوم "، وابن المعتز (ت 296ه) في كتابه "البديع " وشارك الفلاسفة أيضا في إبداء أراء نقدية في الشعر وطرق صياغته وعلاقته بالمحاكاة والتخييل والمعيار الأخلاقي فيه وأشهرهم : الفرابي (ت 339 ه) وابن سينا، ابن رشد .

– لقد ساهم كل هؤلاء النقاد القدامى في إثراء المكتبة النقدية والتي أصبحت المنبع الرئيسي لكل الدراسات النقدية الأدبية الحديثة.

ب. النقد الأدبي عند المحدثين :

✓أحمد أمين :

– عرف النقد الأدبي مكون من كلمتين: **"**أدبي منسوب للأدب وخير تعريف للأدب أنه التعبير عن الحياة أو بعضها بعبارة جميلة، ونقد: وهي كلمة تستعمل عادة بمعنى العيب، وتستعمل أيضا بمعنى أوسع : وهو تقويم الشيء والحكم عليه بالحسن أو القبيح وهذا يتفق مع إشتقاق الكلمة ..."

– إن النقد الأدبي متصل إتصالا كبيرا بجملة علوم وفنون فهو متصل بالإبداع أو الخلق أو الإنشاء، والنقد أقل من الإبداع لأنه ينتظره حتى يتم، فإذا تم حكم عليه النقد بالحسن أو القبح.

[1] – قدامة بن جعفر، "نقد الشعر"، مطبعة الجوانب قسطنطينية 1 يناير1900ص102

[2] – عبد القادر الجرجاني،"دلائل الإعجاز"، ص 254-255.

– والناقد يجب أن يكون ذا حظ كبير من العقل والذوق فإطلاعه على الآداب الأخرى يوسع أفقه و يزيد في تجاربه.

– يخضع النقد الأدبي لقواعد خاصة كما يخضع كل علم، وهذه القواعد مأخوذة بعضها من الفلسفة وبعضها من علم النفس وبعضها من الأخلاق وبعضها من علم الجمال.

– فالنقد الأدبي علم ناشيء عن ملكات خاصة تنمو بالتربية والتمرين[1].

– و إذا كان النقد الأدبي فنًّا[2] وجب أن يخضع لكل قوانين الفن، فهناك قواعد أصلية تشترك فيها كل الفنون ومنها الأدب، وهذه القواعد ما هو مستمد من علم النفس، ومنها ما هو مستمد من علم الجمال، وكلما تقدم الناس في فهم علم الجمال زاد تقدمهم في فهم قواعد الفن، وتبع ذلك تقدمهم في التطبيق على النقد الأدبي.

✓**إدوارد سعيد :**

– يعرف إدوارد سعيد النقد الأدبي قائلا: " إن النصوص دنيوية، وهي أحداث إلى حد ما، وهي فوق كل هذا وذاك، قسط من العالم الاجتماعي والحياة البشرية، وقسط بالتأكيد، من اللحظات التي احتلت مكانها فيها حتى لا يبدو عليها التنكر لذلك كله"[3] وقد سماه بالنقد الدنيوي.

– ويأتي موقفه هذا على الضد من نزعة النصيات المطلقة التي يدعو لها أصحابها النصيون ولاسيما فلسفة النقد بأنها جوهر، وما عداه عوارض، فسعيد ". يؤكد

– ثانية بأن التلازم بين النص وما يقابله في المجتمع هو العالم حيث " الوعي النقدي هو جزء من عالمه الاجتماعي الفعلي، وجزء من تلك الكتلة الواقعية التي يستوطنها الوعي وليس له، بحال من الأحوال، أي مهرب لا من هذا أو ذاك"[4].

[1] – "النقد الأدبي عند أحمد أمين"، كلمات عربية للترجمة و النشر، ص.ب مدينة نصر القاهرة، ص 14-15.

[2] – المرجع نفسه.

[3] – إدوارد سعيد، "العالم و النص و الناقد"، سنة 1983 ،مجلة القبس الثقافي، 5 فبراير 2022، ص 7.

[4] – المرجع نفسه، ص16.

– يفضل إدوارد سعيد لمشروعه النقدي الثقافي أن يوصف بأنه (دنيوي) "seculair"وليس روحانيا، ونفهم أنه مفكر بنزعة علمانية " secularism " حيث أنه توجه بالنقد للمفكرين الروحانيين .

– ماذا يعني النقد الدنيوي ؟

– يعني النقد الدنيوي : "إرتباط (النقد) بالزمان إرتباطا ماديا "[1] إذ أنه لا يركن إلى أية تأويلات سائبة ويتخذ مساره " المحتوم للوعي النقدي (بغية) الوصول إلى أي معنى دقيق لما تنطوي عليه تلك القيم الإنسانية والاجتماعية والسياسية التي تنجم عن قراءة في النص وإنتاجه ونقله"[2] مما يتوافر في التاريخ الدنيوي.

– إن الناقد عند إدوارد هو " يتفحص العالم الدنيوي لا الروحاني " ويجب أن تتوفر فيه سمات " تلعب دورا في إدراك المرء من التجربة النصية، ومن بين تلك السمات القرابة والتقريب والجسد وحاستا البصر والسمع والتكرار والتعدد المطلق للتفاصيل"[3].

– فالنقد الدنيوي هو " النقد المقاوم " الذي يستند إلى سجية متمردة يمارسها المفكر " المهاجر أبدا والمنشق من دون كلل " وبوعي حاد نحو راديكالي وبلا عدمية ولا نزعة محافظة أو محافظوية.

– الممارسة النقدية: قسم الممارسة الأدبية إلى أربعة أشكال:

1– النقد العملي الذي نجده في مراجعة الكتب في الصحافة الأدبية.

2– التأريخ الأدبي الأكاديمي الذي ينحدر من التخصصات التي كانت قائمة في القرن التاسع عشر كدراسة الأدب الكلاسيكي وتأريخ الحضارة.

3– التقويم والتأويل من زاوية أدبية.

4– النظرية الأدبية (من أمثال البنيوية و دلالات الألفاظ، والتفكيك).

✓**عبد المالك مرتاض:**

[1] – المرجع نفسه، ص 24.

[2] – المرجع نفسه، ص 24.

[3] – إدوارد سعيد، "العالم و النص و الناقد"، تحقيق عبد الكريم محفوظ منشورات اتحاد الكتاب العرب 2000 ص 25.

– يعتبر الدكتور عبد المالك مرتاض من النقاد الأفذاذ الذين اثروا الساحة النقدية العربية العالمية بأعماله الكثيرة القيمة ومنها كتابه (في نظرية النقد) الذي بلور فيه مصطلح النقد الأدبي.

– " إن النقد الأدبي لم يظهر إلا مع ظهور الشكلانية الروسية والتي نجمت عنها الشكلانية الفرنسية ...".

– ثم حاول التفريق بين الأدب والنقد فيقول : " أن الأدب كتابة قوامها الخيال، والنقد كتابة قوامها المعرفة "[1].

– يقول: " إن النقد الأدبي بمفهومه المعرفي المعقد وماهيته الجمالية المتناهية اللّطف، يندرج في صلب الإهتمامات الفكرية المستمرة"[2].

– توصل الناقد عبد المالك مرتاض أن النقد الأدبي يتفرع إلى شقين :

1- النقد النظري : وهو نقد تأسيسي تأصيلي وهو من الضرورة بمكان لأطوار المعرفة وإزدهارها، وأن مجاله البحث في الأصول النظرية، والجذور المعرفية والخلفيات الفلسفية، وكل الإتجاهات والتيارات التي أثرت في الجوانب النظرية.

2- النقد التطبيقي : فهو نتاج وثمرة النقد النظري ولولا النقد النظري التأسيسي لما كان هناك نقد تطبيقي فهما أمران متلازمان أو إن شئت وجهان لعملة واحدة. والغاية الأسمى منهما تبرز في أن كليهما يسعى إلى حقيقة النص، أو تأويله أو تفسيره أو إستكشاف علاقة الدال بالمدلول أو معرفة الإشارات، أو تقويضه وتفكيكه، ومن ثمة إختلفت الغاية النقدية تبعا لإختلاف الإتجاهات والتيارات الفكرية.

– النقد الأدبي يبحث عن القراءة المجهرية المتسمة بالدقة على التنقير والتنقيب داخل النص الأدبي و العمل على تعريته وهذه ما سماها الدكتور عبد المالك مرتاض بالقراءة الإحترافية حيث يقول: " القراءة الإحترافية التي تمكننا من إنتاج نص على أنقاضها هي" [1].

[1] – عبد المالك مرتاض، "في نظرية النقد (متابعة لأهم المدارس النقدية المعاصرة و رصد لنظرياتها)"، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر 2002، ص 30.

[2] – عبد المالك مرتاض، "في نظرية النقد (متابعة لأهم المدارس النقدية المعاصرة و رصد لنظرياتها)"، ص 52.

– يومىء إلى القراءة الثالثة التي تتجاوز القراءتين النظرية والتطبيقية والتي اصطلح عليها بـــ" نقد النقد".

– تتميز القراءة " المرتاضية " بالطرح المنطقي والقدرة على الإقناع والغربلة والتمحيص لآراء سواء أكانت عربية أم غربية، كما أنها تمتاز بالجرأة والغوص محاولة منها لسبر الأغوار وتحديد الابعاد.

– يقول عبد المالك مرتاض: " لا بد من قراءة الموروث النقدي، العربي قراءة واعية متبصرة والإنفتاح على ما هو غربي وحداثي والعمل على إستعادة منها مع ما يتناسب وأصالتنا وقيمنا الفكرية والحضارية والعقائدية، حتى يتسنى لنا تأسيس نظرية نقدية عربية حداثية معاصر لا تسلبنا شخصيتنا ولا تقوض معالم حضارتنا ...".

✓عبد السلام المسدي :

– يعتبر عبد السلام المسدي من أهم رواد النقد العربي الحديث، تميز بدراسته للثقافة العربية الكلاسيكية وبمناهج نقدية أكثر حداثة وتجريبا وتأصيلا، بسبب إنفتاحه على الأدب الغربي ومناهجه النقدية، وإطلاعه العميق على التراث العربي القديم.

– النقد هو ثمر حفر الباطن في الثقافة والمعرفة حيث يقول: " إن النقد الأدبي فيما نتصوره، وبفضل ما نرصده من ظواهر اللغة، ثم في ضوء إستشعار معرفي هو ثمر حفر الباطن في الثقافة المعرفة قادر على أن يغدو اللسانيات ويتحداها في نفس الوقت"[2].

– النقد خطاب واصف للأدب : بصرف النظر عن مستويات الوصف وتوظيفاته. وهنا يؤكد على الوشيجة المتلازمة بين النقد والأدب، فيقول: " فالنقد موضوعه الأدب والأدب مادته اللغة .."[3] وهو ذات الكلام الذي ورد عند شوقي ضيف في كتابه النقد "

– حيث يقول : " الأدب موضوعه الطبيعة والحياة الإنسانية والنقد موضوعه الأدب"[4].

---

[1] – المرجع نفسه، ص 53.

[2] – عبد السلام المسدي، "الأدب و خطاب النقد"، دار الكتاب الجديدة المتحدة بيروت لبنان، ط1 مارس 2004، ص 91.

[3] – المرجع نفسه، ص 99.

[4] – المرجع نفسه، ص 5

– النقد معرفة اللغة: يقول: " النقد الذي هو معرفة اللغة يوصفها مؤسسة إبداعية"[1].

– النقد هو السكن داخل بيت الأدب : يقول"النقد هو أن تكون صاحب حق شرعي في أن تسكن داخل بيت الأدب، فتختار أن تخرج منه لتقيم لنفسك بيتا يحاذيه فيشارفه وتطل منه عليه دافعا به إلى موالجته"[2].

– في كتابه " الأدب وخطاب النقد " عرض خصائص النقد الأدبي وهي :

1. النقد الأدبي صرح تشيده مؤسسة الأدب: يقول: " النقد الأدبي هو صرح تشيده مؤسسة الأدب وليس النقد مؤسسة صرحها الأدب"[3] ومعنى هذا أن النقد الأدبي نشأ في أحضان الأعمال الأدبية، فهي موضوعه الذي يعمل فيه ويقع عليه حكمه، ومنه يستمد قوانينه ومقاييسه بإعتبارها خصائص وجدت في هذه الأعمال فأكسبتها القوة والجمال وجعلتها قادرة على التأثير والخلود .
2. المطاوعة إلى المحاورة: فالنقد ليس عصيا بل مرنا ، متكيفا يقول : " والنقد مطواع إلى المحاورة وإن نقلناه من لغته إلى لغة غير لغته"[4].
3. دخول النقد حلبة المخاض المعرفي في العصر الحديث : " وبدخوله هذا كف عن إتكائه في زاوية المعارف التي ينعتها المسدي بالترف الفكري والبذخ النفسي أقرب منها إلى العلم الضروري"[5].
4. النقد يتخذ من الخاص سلما إلى الشامل الأعم : حيث يقول : " الأدب مشدود إلى خصوصية لغته وإن خلق في سماء الإنسانية، أما النقد فإنه يتخذ من الخاص سلما يعرج منه نحو الشامل الأعم "[6].

[1] – عبد السلام المسدي، "المصطلح النقدي"، مؤسسات بن عبد الله للنشر تونس، د.ط 1994، ص 19.

[2] – عبد السلام المسدي، "الأدب و خطاب النقد"، ص 295.

[3] – المرجع نفسه ، ص 27.

[4] – المرجع نفسه، ص 46.

[5] – المرجع نفسه، ص 22.

[6] – المرجع نفسه، ص 28.

5. أحادية النقد وتعددية الأدب – تطور النقد.

6. علمية النقد : " إن النقد معرفة ويطمع أن يكون علما، ولكنه علم بغيره وليس علما بنفسه"[1].

7. تعذر الاستقرار في النقد الأدبي

8. صلاحية الإختراق.

9. النقد حقيقة بذاته.

2. النقد السياقي :

أ. التحديد المفهومي لمصطلح النقد السياقي:

تعددت التعريفات وتباينت و منها :

– يعرف بالإنجليزية (contextual criticisme)، فهو تقييم و بحث الناقد في الأعمال الفنية مع مراعاة ودراسة العوامل المحيطة بالسياق التاريخي والاجتماعي والنفسي للفن والمؤثرات البيئية والثقافية المحيطة به، إضافة إلى دراسة الحياتية للفنان.

– فالناقد لا يهتم بجمالية العمل الفني في المرتبة الأولى، بل يهتم بهوية العمل الفني وسمات العصر الذي يعكسها الفنان من خلاله، كالإنتماء السياسي، والحالة الاقتصادية والاجتماعية والدينية.

– تلك المناهج التي تعنى ببحث العوامل الخارجية التي تحيط بالأدب وتؤثر فيه، محاولة تفسيره على ضوء السياق الاجتماعي له، وإن كانت هذه المناهج تتحول في أغلب الحالات إلى تفسيرات علمية تحاول رد الأدب إلى أصوله، ومن ذلك يخلصون إلى أن الأدب ينبغي أن يدرس على ضوء حياة المؤلف ونفسيته. ونجد الفئة الثانية تبحث في العوامل الإنسانية المحددة للخلق الأدبي في الحياة المؤسسة للإنسان وتعني بالظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وقد نجد فئة ثالثة تصل إلى تفسير الأدب على ضوء تاريخ الأفكار[2].

[1] – عبد السلام المسدي، "الأدب و خطاب النقد"، ص 47.

[2] – ياسين السيد، "التحليل الإجتماعي للأدب"، مركز الدراسات السياسية و الإجتماعية القاهرة مصر، د.ط 1991، ص 22-23.

– المناهج السياقية هي التي تدرس النصوص الأدبية في ظروف نشأتها والسياقات الخارجية لها، والتأثيرات التي يتوقع للنص أن يؤثر بها فيما يحيط بها[1].

– المناهج الخارجية أو السياقية هي التي تعاين النص من خلال إطاره التاريخي أو الاجتماعي، أو النفسي وتظهر السياق العام لمؤلفه، أو مرجعيته النفسية، وهي دعوة ضمنية إلى الإلمام بالمرجعيات التاريخية والسياقات المحيطة.

– وقد أورد "قزاز" في كتابه " طرق النقد الفني المعاصر " أن " النقد السياقي يعتني بالسياق الذي ظهر فيه العمل الفني والظروف المحيطة به وهو على طريقتين:

–القصدي – المبني على سيرة الفنان ".

ب.أهم الخلفيات الفلسفية للنقد السياقي :

يستند النقد السياقي على خلفيات فلسفية أهمها :

✓فلسفة العلوم التجريبية :

– هي الفلسفة التي تتخذ من الواقع الخارجي أساسا لبناء الأحكام، وتعرف الحقيقة، مستندة إلى التجربة العلمية في وضع مبادئها وإقامة تصوراتها، وقد وضع مبادئ التجريبية كل من " دافيد هيوم " و "جون لوك " و " هويز" و " ليسنج" و " إعتمدت على الحواس في إيصال المعرفة، وبَنَّت قضاياها على التجربة، فالحواس منافذ المعرفة وبها نرى الأشياء ونسمعها ونشمها، ونتذوقها ونلمسها، تنطبع صور المحسوسات في الذهن، وتتولد منها الأفكار[2].

– ذلك أن التجربة تستند إلى ما هو ملاحظ ومشاهد وقابل للقياس وهو المسعى الذي تجسد في منظور النقد السياقي.

[1] – مرشد الزبيدي، "مفهوم البناء الفني للقصدة في النقد العربي الحديث"، مجلة الأقلام عدد 08 1989،منشورات وزارة الثقافة العامة العراق، ص 108–109، ط1 مارس 2004، ص 91.

[2] – نصرت عبد الرحمن، "في النقد الحديث، دراسة في مذاهب نقدية حديثة وأصولها الفكرية"، جهينة للطباعة و النشر عمان الأردن، ط1 2007، ص 19.

– عمل رواد النقد السياقي على تحويل الشروط التجريبية المتعلقة بعلوم المادة من فيزياء وكيمياء ومن علم الأحياء إلى ميدان النقد الأدبي، وذلك بإستثمار كل ما يمكن أن يفك لغز الأدب، وقابل لأن يكون عينة تجريبية ومنه " كان السبب في ازدهار المناهج السياقية في ميدان النقد الأدبي، رغبة كثير من مفكري القرن التاسع عشر ونقاده في أن يجعلوا النقد علميا بمعنى الكلمة وذلك لسببين : الأول أنهم كانوا معجبين بدقة العلوم الطبيعية ويقينها، وكانت النظرية المسماة بالوضعية تشيد بالعلم بصفته أعظم إنجازات العقل الإنساني، وأكثرها اتساقا، الثاني أنهم كانوا رافضين للأحكام المغرقة في الذاتية والإنطباعية[1] وعليه فالنقد السياقي يفتح سجل حياة المؤلف وظروف بيئته، وما فيها من تغيرات سياسية وثقافية وإجتماعية، ليقيم أحكامه النقدية، إذ يصبح ذلك السجل بمثابة عينة تجريبية قابلة للملاحظة، والقياس وتسمح بإصدار الأحكام العلمية حولها، شأن التجربة العلمية مع ما بينهما من فروق تقرب الحكم النقدي من العلمية وتبعده عن الذاتية لأن التجربة الإبداعية إنسانية بطبعها ولن تسلم قيادها للشروط الصارمة للتجربة العلمية مهما حاول النقاد ذلك .

✓الفلسفة الوضعية :

– جاءت الوضعية معززة لما قامت عليه التجريبية وإستعدت كل تفكير لا يستمد عناصره الأولى من الحس والتجربة، ولذلك فالأفكار في الوضعية تظل شتاتا مبعثرة في الذهن، بل ترتبط بقانون التداعي، الذي يعد معادلا في أهميته لقانون الجاذبية[2].

– تطور الفكر الإنساني من منظور "أوغست كونت " " فيلسوف الوضعية في الطور اللاهوتي (حيث يرجع تغيير الظواهر إلى قوى خارقة وكائنات فوق الطبيعة) إلى الطور الميتافيزيقي (حيث إستبدلت القوى الخارقة إلى قوى مجردة تقدر على صنع كل الظواهر) ثم الطور الوضعي، حيث انصرف التفكير من المطلق إلى الإنشغال بدراسة الظواهر، والبحث عن القوانين التي تحكم تلك

[1] – نبيل راغب، "موسوعة النظريات الأدبية"، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان مصر 2003، ص 340.

[2] – ينظر نصرت عبد الرحمان في النقد الحديث، "دراسة في مذاهب نقدية حديثة وأصولها الفكرية"، ص 31.

الظواهر، والبحث عن القوانين التي تحكم تلك الظواهر، وتكون الملاحظة والإستدلال هما سبيل معرفة تلك القوانين[1].

– ولذلك يجد الدارسون أن فلسفة " أوغست كونت " " تلح أن المعرفة المثمرة التي تضيف إلى مسار الفكر الإنساني، هي معرفة الحقائق وحدها، وأن العلوم التجريبية هي التي تزودنا بالمعارف اليقينية، وأن الفكر الإنساني لا يستطيع أن يحمي نفسه من الزيغ في فلسفة العلوم إلا إذا إتخذ التجربة منهاجا له، ومن ثم يتخلى عن النزعات الذاتية التي تحتكم إلى منطق الذات، وأن الحقائق في ذاتها لا يمكن إدراكها لأن الفكر لا يستطيع إدراك ذلك، وإنما لا يدرك منها سوى العلاقات، ثم القوانين، وذلك منهج العلوم التجريبية "[2].

– أثرت الوضعية في الإبداع الأدبي ونتج عن ذلك المذهب الطبيعي مع " إيميل زولا " ومن نحا نحوه في مجال الرواية والمسرح، وقادت الشعر إلى " البرناسية " التي مهدت السبيل أمام الشعر الرمزي والشعر التصويري وبالمقابل " أثرت في النقد وقادته إلى التاريخية أو الواقعية النقدية "[3].

– والتي تجعل العمل الأدبي واقعه يمكن تفسيره من خلال ما يرتبط بها من بيئة وجنس وعصر.

✓ **الفلسفات االإجتماعية و النفسية :**

– من الفلسفات الحديثة التي كان لها الدور الأساسي في بلورة المفاهيم التي تأسس عليها النقد السياقي تبرز الفلسفة االإجتماعية، وفلسفة التحليل النفسي، فمن التحليل النفسي إستعار النقد السياقي الفروض الأساسية ومن عمل الأحلام إستعار فكرة النماذج العليا أو محتوى اللاشعور الجمعي، ومن علم النفس الجماعي (أخذ فكرة الكليات) ومن علماء النفس التجريبيين إستمد المقدمات التجريبية عن السلوك، ومن علم النفس الإكلينيكي، إستقى المعلومات المتعلقة بالتعبيرات المرضية للعقل الإنساني، ومن علم النفس الإجتماعي تعرف على طرق الكشف عن سلوك الإنسان

[1] – محمد بلوحي، "آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي"، بحث في تجليات القراءات السياقية، ، ص 16.

[2] – المرجع نفسه.

[3] – نصرت عبد الرحمن، "في النقد الحديث، دراسة في مذاهب نقدية حديثة وأصولها الفكرية"، ص 39.

في الجماعات والمجتمعات الكبرى، كما استفاد مما تقدمه العلوم النفسية والعصبية المتصلة بعلم الغدد الصماء[1].

– واستعار النقد الأدبي الحديث في صورته السياقية من الفلسفات الإجتماعية عند " دور كليم " و" أوغست كونت " نظريات ومقدمات عن طبيعة المجتمع، والتغير الإجتماعي والصراع الإجتماعي، وصلة هذه بالأدب والظواهر الثقافية الأخرى[2].

– من الفلسفة الماركسية إستقى العلاقة الجدلية بين البنيتين الفوقية والتحتية، وأن الأدب في حقيقته إنعكاس ولا يمكن فهم إحدى البنيتين في غياب الأخرى ولذلك " أصبحت الماركسية منذ نهاية القرن التاسع عشر تمثل الأساس الصلب للتصور التاريخي والفن"[3] من منظور شيوعي على أقل تقدير.

– ومن الفلسفة الوجودية إستمد فكرة الإلتزام التي ترى أن الأدب إلتزام بقضايا المجتمع وأن المبدع قائد فكري في مجتمعه، أو الصراعات الخارجية التي تواجهه، وعليه " إعتبرت الوجودية هي المشتغل بالفكر الأدبي إبداعا و نقدا، لا يستطيع بحال أن يتخذ موقفا سلبيا منها (أي من تلك الصراعات)، ولا أن يهرب من أداء وظيفته، وتحمل مسؤوليته تجاهها"[4] وذلك ما يؤهل إبداعه للتعبير عن تلك الصراعات، وما يمنح الناقد فرصة الإمساك بها من خلال إحاطته بالسياقات المولدة للإبداع وهو يحاكم النّص، لأن علاقة الإبداع بالنقد في الفلسفة الوجودية محكومة بثنائية الحرية والمسؤولية، وذلك أساس الحكم على الأعمال الأدبية إذ: " تتحدد أقدار الناس وقيمهم طبقا لمدى قدرتهم على صناعة مشروعاتهم في الحياة، وطبقا لنوعية المواقف التي يتخذونها أثناء صياغتهم لهذه المشروعات"[5] ومنه يكون الناقد الوجودي مرتبطا بقيم الحياة، ويكون نصه سجلا لتلك المواقف.

[1] – المرجع نفسه، ص12.

[2] – المرجع نفسه، ص13.

[3] – صلاح فضل، "مناهج النقد المعاصر"، ميريت للنشر و المعلومات القاهرة مصر ط1 2002، ص 29.

[4] – المرجع نفسه، ص33.

[5] – المرجع نفسه، ص34.

– ومن المذاهب الأنثروبولوجية إستمد النقد السياقي مقدمات عن المجتمعات البدائية والسلوك الاجتماعي، ولذلك كان الفلكلور ذا مدد خصب للنقد السياقي"[1].

– كما استفاد النقد السياقي من الرؤية التاريخية والدراسات الفيزيولوجية للغة[2]، إذ اعتبرت تلك الدراسات مدخلا مناسبا لتحقيق النصوص ومعرفة صلتها بالعصر الذي تنتمي إليه وبالكاتب الذي تنسب إليه.

ج. المناهج التي تقع في دائرة السياقية :

– الأدب مصدر تاريخي هام للوقائع والأحداث التاريخية، حيث ينقيها ويتأثر بها، فهو لسان الأمة يعبر عن حياتها الإجتماعية والسياسية، والمنهج هو صلة الوثيقة بين الأدب والتاريخ، فهو مرتبط بالأحداث التاريخية والوقائع ومدى تفاعل الأدب بها.

01) المنهج التاريخي:

✓ تعريفه:

– يعتبر المنهج التاريخي من أقدم المناهج التي أولت إهتماماً في دراسة الأدب منذ ولادته وتطوره عبر الزمن وكلّ مراحل نموه.

– يعتمد المنهج التاريخي على تحديد العلاقة بين الأدب والمجتمع المحيط به، ومناقشة كل الأفكار والآراء التي تناولت العمل الأدبي وقد عرّفه عبد السلام المسدي بقوله: " هو منهج يتخذ من حوادث التاريخ السياسي والإجتماعي وسيلة لتفسير الأدب وتعليل ظواهره أو التاريخ الأدبي لأمة ما، ومجموع الآراء التي قيلت في أدب ما أو في فن من الفنون"[3].

[1] – ينظر ستانلي هايمن، "النقد الأدبي و مدارسه الحديثة" الجزء الأول، ترجمة إحسان عباس و محمد يوسف نجم ، ص 14.

[2] – المرجع نفسه، ص15.

[3] – عبد السلام المسدي، "في آليات النقد الأدبي" ، دار الجندوب تونس 1994، ص 79.

– يعتمد المنهج التاريخي على ما يشبه سلسلة من المعادلات السببية: فالنّص ثمرة صاحبه، والأديب صورة لثقافته، والثقافة إفراز للبيئة، والبيئة جزء من التاريخ، فإذاً النقد تأريخ للأديب من خلال بيئته[1].

– وعلى هذا فهو "مفيد في دراسة تطور أدبي ما، لكن لا في الكشف عن نتائج هذه الدراسة، فالمنهج التاريخي– شأنه شأن الخطوط الأولية في الرسم – يمحى عندما تكتمل الصورة"[2].

– إنه تعبير آخر " تمهيد للنقد الأدبي، تمهيد لازم، ولكنّه لا يجوز أن نقف عنده، وإلاّ كنا كمن يجمع المواد الأولية ثم لا يقيم البناء "[3].

– يظل " واحداً من أكثر المناهج إعتماداً في ميدان البحث الأدبي لأنّه أكثر صلاحية لتتبع الظواهر الكبرى في الأدب ودراسة تطورها "[4]، إذ هو" المنهج الوحيد الذي يمكننا من دراسة المسار الأدبي لأيّ أمّة من الأمم، ويمكننا من التعرف على ما يتميّز به اهّا من خصائص "[5].

✓ مبادئ المنهج التاريخي في النقد الأدبي :

يقوم المنهج التاريخي في النقد الأدبي على المبادئ التالية:

– إعتبار النّص الأدبي وثيقة لمحيطه والرّبط الآلي بينهما.

– التدقيق على الأعمال الأدبية والنصوص التي تمثل مرحلة تاريخية يتم دراستها والإهتمام بدراسة المدونات الأدبية العريضة.

– البحث في تاريخ الأمّة السياسي والإجتماعي لفهم الأدب وتفسيره ودراسة مراحل نموه وتطوره، ولفهم كلّ الطرق التي يسلكها الأدباء في الأدب.

– الدراسة التاريخية للكتاب تبيّن لنا الأوضاع التي كتب فيها، لأنّ النّص ثمرة كاتبه والأديب نتاج ثقافته.

---

[1] – عبد السلام المسدي، "في آليات النقد الأدبي" ، ص 88.

[2] – رام ألبريس، "الإتجاهات الأدبية الحديثة"، ترجمة جورج طرابيشي، ط2، منشورات كويدات بيروت لبنان 1980، ص 6.

[3] – محمد منذور، "في الميزان الجديد"، دار النهضة مصر الفجالة القاهرة د.ت ، ص 129.

[4] – الربيعي بن سلامة، "الوجيز في مناهج البحث الأدبي و فنيات البحث العلمي"، منشورات جامعة منتوري قسنطينة 2001-2002،ص38.

[5] – المرجع نفسه، ص34.

✓ **خصائص المنهج التاريخي :**

- الإزدهار في أحضان البحوث الأكاديمية المتخصصة التي بالغت في إرتضائه منهجا واحداً لا يرتضي بدلا.
- الربط الآلي بين النّص الأدبي ومحيطه السياقي وإعتبار الأوّل وثيقة للثاني.
- الإهتمام بدراسة المدونات الأدبية العريضة الممتدة تاريخيا مع التركيز على أكثر النصوص تمثيلا للمرحلة التاريخية المدروسة مع إهمال التفاوت الكبير بين الاجيال و يتحدون في الزمن و المكان كأن هذا المنهج عاجز –بطبعه– عن تفسير الفوارق العبقرية بين المبدعين المنتمين إلى فضاء زمكانيّ موحد.
- المبالغة في التعميم والإستقراء الناقص.
- الأحكام الجازمة خطيرة أيضا، فهي لا تسمح بإمكانية تصحيحها ونقدها، فيتوجب علينا إبقائها مفتوحة أمام ظهور أي وثائق جديدة تخص البحث.
- الإهتمام بالمبدع والبيئة الإبداعية على حساب النّص الإبداعي، دون التعمق في باطنه لإستخراج جماليته وتأثير إبداعه.
- إغفال الناحية الفنية للأبحاث.
- التركيز على المضمون وسياقاته الخارجية مع تغييب واضح للخصوصية الأدبية للنّص.
- التعامل مع النصوص المدروسة على أنّها مخطوطات بحاجة إلى توثيق أو تحف مجهولة في متحف أثريّ، مع محاولة لم شتاتها و تأكيدها بالوثائق والصور والفهارس والملاحق.

✓ **أعلام المنهج التاريخي :**

- **عند الغرب :**

هناك أعلام كثيرون برزوا في المنهج التاريخي للنقد الأدبي نذكر منهم:

- **هيبوليت تين / Hippolyte Taine (1828–1893):**

هو فيلسوف ومؤرخ وناقد فرنسيّ شهير و الذي درس النصوص الأدبية في ضوء تأثير ثلاثيته الشهيرة و هي :

- ✓ العرق أو الجنس (RACE): بمعنى الخصائص الفطرية الوراثية المشتركة بين أفراد الأمة الواحدة المنحدرة من جنس معين.
- ✓ البيئة أو المكان أو الوسط (MILIEU): بمعنى الفضاء الجغرافي وإنعكاساته الإجتماعية في النص الأدبي.
- ✓ الزمان أو العصر (TEMPS) : أي مجموعة الظروف السياسية والثقافية والدينية التي من شأنها أن تمارس تأثيراً على النّص.

- **فرديناند برونتيار / Ferdinand.Brunetière (1849–1906) :**

ناقد فرنسيّ، آمن بنظرية (التطور) لدى داروين (1809-1906) وحاول تطبيقها على الأدب، متمثلا الأنواع الأدبيّة، كائنات عضوية متطورة كلما تطور الإنسان، تطور الأدب كذلك من فن إلى آخر.

- **غستاف لانسون / Gustave Lanson (1849–1906) :**

رائد أكاديمي فرنسي كبير، للمنهج "اللانسوني"، الذي أعلن عنه سنة 1909 في محاضرة بجامعة بروكسل حول "الروح العلمية ومنهج تاريخ الأدب"، ثم إتبعها سنة 1910م بمقالاته الشهيرة "منهج تاريخ الأدب" التي نشرها في مجلة الشهيرة، وقد حدد فيها خطوات المنهج التاريخي حتى غدت تلك المقالة "قانون اللانسونية" ودستورها المتبع على حدّ تعبير أحد الدارسين[1].

- **عند العرب :**

[1] – عبد المجيد حنون، "اللانسوية و أبرز أعلامها في النقد العربي الحديث"، مخطوط دكتوراه دولة، معهد اللغة والأدب العربي جامعة الجزائر 1991، ص 72.

أما في النقد العربي، يمكن أن تكون نهايات الربع الأول من القرن العشرين البدايات الأولى للممارسة النقدية التاريخية على يدّ نقاد تتلمذوا في المدرسة الفرنسية يتزعمهم:

- **الدكتور أحمد ضيف (1880-1945): الذي تخرج من مدرسة لانسون الفرنسية.**
- **طه حسين (1889-1973) :**

كان لطه حسين أهمية كبيرة في تطوير "المنهج التاريخي للنقد الأدب"، لأنه حاول مزاوجة منهج غربي نتاج ثقافة مختلفة مع منهج عربي وذلك بهدف الوصول إلى منهج حديث دون التخلي عن القواعد العربية الأساسية.

إعتماده المنهج الديكارتي القائم على الشك، والذي يجعل من كتابته ذات طابع تاريخي أكثر من نقدي وذلك بسبب عدم مراعاة الخصوصية في المادة الأدبية التي تختلف عن الحوادث والوقائع التاريخية ويعتبر طه حسين التلميذ الأول لـــ "لانسون".

- **محمد مندور (1907-1965) :**

يمكن عدّه الجسر الرابط بين النقدين (الفرنسي والعربي)، فهو أوّل من أرسى معالم "اللانسونية" في النقد العربي، حين أصدر كتابه "النقد المنهجي عند العرب" مذيلا بترجمته لمقالة "لانسون" الشهيرة "منهج البحث في الأدب" وكان ذلك في حدود سنة 1946.

ورموز هذا المنهج في النقد العربي كثر منهم: زكي مبارك (1893-1952) وأحمد أمين (1866-1954) وقد ذكرنا بعضهم سابقا.

- **الدكتور عبد المالك مرتاض (1935) :**

بدايات الناقد مع كتابه "النص الأدبي من أين وإلى أين؟" هي علامة فارقة بين نقد تقليدي، إنطباعي، يعتمد على المنهج التاريخي في بداياته الأولى، فمساره النقدي بدأ إنطباعياً، فبنيوياً، أسلوبياً سيميائياً تفكيكياً.

إن النقد عند عبد المالك مرتاض هو "إبداع فنيّ ثانٍ وكتابة ثانية برؤية إبداعية جديدة، إن الناقد مبدع لأنه يأتي بالمعرفة الجديدة الكامنة في النّص الأدبي"[1].

إن النقد عنده ينتمي إلى الأيديولوجيات والثقافات وإتجاهات فكرية ونظريات معرفية، فلا بد من الإستفادة من الموروث النقدي العربي والإعتراف بالمدرسة النقدية العربية القديمة للجاحظ وإبن سلام الجمحي وعبد القاهر الجرجاني وغيرهم والإنفتاح على المذاهب الغربية الحداثية من أجل التلاقح والتكامل والإبتعاد عن المحاكاة لكلّ ما هو غربيّ.

إنّ النظرية النقدية عند عبد المالك مرتاض أسيرة لثلاث إشكاليات: علم النقد، فنيته، وإحترافيته.

ينقسم النقد إلى :

- ✓ النقد التنظيري: يشتمل على أصول النظريات وجذور المعرفيات ويبحث في الخلفيات الفلسفية فهو أشبه بالعلوم التأسيسية.
- ✓ النقد التطبيقي: ثمرة النقد النظري نضيف له المنهجية والمعايير والإجراءات والأدوات وبالتالي نصل إلى تشريح النّص، أو هو قراءة مجهرية لاسطحية، فهي قراءة إحترافية وهذا ما يعرف بنقد النقد وهذه هي النقلة المنهجيّة إلى البنيوية الغربية والشكلانية الروسية.

02) المنهج الإجتماعي :

✓ تعريفه :

– المنهج الإجتماعي في الأدب هو منهج نقدي يدرس ويحلل ويقوم بتأويل النصوص الإبداعية من منظور إجتماعي، بمعنى أنّه يتعامل مع الظاهرة الأدبيّة بإعتبارها ظاهرة إجتماعية، حيث يسعى هذا الإتجاه النقدي إلى بيان الصلة بين النص والمجتمع الذي نشأ فيه.

– وقد ولد هذ المنهج في أحضان المنهج التاريخي وتطوّر في سياق تطور الإتجاهات النقدية الحديثة خاصة في النصف الثاني من القرن العشرين، ومن عوامل ظهوره أيضا شيوع الفكر الماركسي والفلسفة المادية وإنتشار الواقعية الإشتراكية مع التقدم الذي عرفه علم الإجتماع في أوروبا.

[1] – عبد المالك مرتاض، "في نظرية النقد"، دار هومة الجزائر 2002، ص 102.

في تعريف آخر للمنهج الإجتماعي : إهتم النقد الإجتماعي بالجانب الإجتماعي، وأغفل النص في خصوصيته الإبداعية، فهو يدرس العمل الإبداعي على أساس أنّه جزء من النظام الإجتماعي فيبيّن :

- كيفية ولادة هذا العمل.
- علاقته بالأنظمة الأخرى.
- الأشياء التي يرمي إليها.

✓ **خصائص المنهج الإجتماعي** :

-يرى أن الأديب هو إبن بيئته لا يعيش معزولا عنها.

-أن الإنتاج الأدبي هو جزء لا يتجزأ عن السياق الإجتماعي والواقع المعيش.

-الأدب صورة للمجتمع ولسانه، ومرآة عاكسة للإنتماء الطبقي للأديب.

-الأدب يخاطب المجتمع وهو صورة منه.

-هونقد مضمونيّ أي يهتم بمضمون النّص.

-الأدب ناقل ومروج للأفكار السياسية.

-النقد الإجتماعي هو نقد تفسيري يحاول الناقد من خلاله إبراز الدلالات الإجتماعية أو التاريخية الكامنة في العمل الأدبي.

-النقد الإجتماعي نقد تقويمي يعلي من شأن الأديب الملتزم بقضايا أمته.

-بفعل المثاقفة مع الغرب وتطور حركة الترجمة، فقد حظي المنهج الإجتماعي بتجاوب واسع في الربع الأخير من القرن العشرين ومن أبرزهم: سلامة موسى، لويس عوض، نجيب العوفي، صلاح فضل، حميد لحمداني، إدريس الناقوري، إدريس بلمليح، محمد شكري عياد، حسين مروة، سعيد علوش، نبيل سليمان ومحمد أمين العالم، أما في الجزائر محمد ساري، محمد مصايف وعبد الله الركيبي.

03) المنهج النفسي :

✓ **تعريفه** :

– هو منهج يقوم على دراسة الأعمال الأدبية لمعرفة الأنماط والنماذج النفسية الموجودة فيها، والرّبط بين الشخصيات الموجودة في الأعمال الأدبية وبين شخصية الأديب، فقد يقوم الأديب بإسقاط شخصيته على شخصية من شخصيات قصته أو روايته.

– يستمد المنهج النفسي آلياته النقدية من نظرية التحليل النفسي (psychanalyse) أو "التحلفسي"[1] على حدّ نعت عبد المالك مرتاض، و التي أسسها "سيغموند فرويد S.Freud " (1850-1939) في مطلع القرن العشرين، فسر على ضوئها السلوك الإنساني برده إلى منطقة اللاوعي (اللاشعور).

– خلاصة هذا التصور أنّ في أعماق كلّ كائن بشري رغبات مكبوتة تبحث دوماً عن الإشباع في مجتمع قد لا يتيح لها ذلك، ولما كان صعباً إخماد هذه الحرائق المشتعلة في لاشعوره، فإنه إضطر إلى تصعيدها، أي إشباعها بكيفيات مختلفة (أحلام النوم – أحلام اليقظة – الهذيان – الأعمال الفنية)، كأنّ الفنّ تصعيد وتعويض لما لم يستطيع الفنان تحقيقه في واقعه الإجتماعي، وإستجابة تلقائية لتلك المثرات النائمة في الأعماق النفسية السحيقة، والتي قد تكون رغبات جنسية (بحسب فرويد)، أو شعور بالنقص يقتضي (التعويض) بحسب (آدلر) أو مجموعة من التجارب والأفكار الموروثة والمخزنة في الاشعور الجمعي (بحسب يونغ).

✓ **خصائص الإتجاه النفسي :**

–ربط النّص بلا شعور صاحبه.

–وجود بنية نفسية تحتية متجذرة في لاوعي المبدع، تعكس بصورة رمزية على سطح النّص، لا معنى لهذا السطح دون إستحضار تلك البنية الباطنية.

–النظر إلى الشخصيات الورقية في النصوص على أنّهم شخوص حقيقيون بدوافعهم ورغباتهم.

–النظر إلى المبدع صاحب النص على أنّه شخص عصابي (Névrosé)، وأنّ نصه الإبداعي هو عرض عصابي، يتسامى بالرغبة المكبوتة في شكل رمزي مقبول إجتماعياً.

[1] – عبد المالك مرتاض، "في نظرية النقد"، دار هومة الجزائر 2002، ص 136.

الفصل الأول:

أبو العلاء المعري

(حياته، ثقافته وآثاره)

المبحث الأول: مولده و نشأته

المبحث الثاني: زمان أبي العلاء

المبحث الثالث: ثقافته

المبحث الرابع: مكانته الأدبية

المبحث الخامس: وفاته وآثاره

المبحث الأول : مولده و نشأته

1. نسبه:

قال ابن خلكان : "هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داود بن المطهر بن زياد بن ربيعة بن أنور بن أسحم بن أرقم بن النعمان بن عدي بن غطفان بن عمرو بن بريح بن جذيمة بن تيم الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة التنوخي المعري "[1].

ينتهي نسب أبي العلاء إلى قضاعة، وقضاعة قبيلة متشعبة ذات أطراف وغصون كان لها شأن عظيم في الجاهلية والإسلام، فبعضهم يصلها بمعد بن عدنان، وبعضهم يرتقي بها إلى يعرب بن قحطان[2].

2. مولده :

ولد في يوم "الجمعة الثامن والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثلاثمئة للهجرة وسنة ثلاث وسبعين وتسعمائة للمسيح، قبل مغيب الشمس بقليل."[3] ولد في معرة النعمان طفل استقبل الوجود.[4]

ولد أبو العلاء في مدينة المعرة، ونشأ فيها وقضى معظم حياته بها، وهي بلدة وصفها إبن بطوطة قائلا: "المعرة مدينة صغيرة حسنة أكثر شجرها التين والفستق ومنها يحمل إلى مصر والشام، وبخارجها على فراسخ منها قبر عمر أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز "[5].

---

[1] – إبن خلكان، "وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان"، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت ، المجلد الأول (د ت)، (د،ط) ص 113.

– أيضا ضمن " تعريف القدماء بأبي العلاء المعري"، إشراف طه حسين، تحقيق مصطفى السقا و عبد السلام هارون و آخرون، مطبعة دار الكتب و الوثائق القومية، القاهرة مصر، ط 4 2003 ص 182.

[2] – طه حسين، "تجديد ذكرى أبي العلاء"، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، 14 ديسمبر 1951، ص 160.

[3] – ياقوت الحموي، "معجم الأدباء وإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب"، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، ج1 ط 1 1993 ص 295. ينظر ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء المعري ص 67.

[4] – طه حسين، "تجديد ذكرى أب العلاء"، ص 100.

[5] – إبن بطوطة، "تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار"، مؤسسة الحسنى، الدار البيضاء المغرب، ط 1 2066 ص 57

وسبب تسميتها بمعرة النعمان : "لأن النعمان بن بشير الأنصاري صاحب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-توفي له ولد أيام إمارته على حمص فدفنه بالمعرة..."[1].

وهي الفكرة التي أثبتها ياقوت الحمري[2].

إن الموطن الأصلي لأبي العلاء المعري هي مدينة تقع بين حلب وحماة، وبينها وبين حلب ثمانون كيلومترا، وبينها وبين حماة ثمانية وخمسون كيلومترا، وهي مركز قضاء تابع لحلب، وفيها مساجد كثيرة منها المسجد القديم الذي يوجد به ضريح أبي العلاء المعري.

3. ذهاب بصره :

في سنة سبع وستين وثلاثمئة وهي السنة الرابعة من حياة أبي العلاء، رمته الأيام بأول ما خبأت له من كبار المصائب، رمته بالجذري، حتى ذهب بيسرى عينيه جملة، وغشي يمناهما بالبياض، و لم يكن إلا قليلا حتى فقد ما بقي فيها من قوة الإبصار[3].

لقد نقشت هذه المصيبة في نفسه، نقشا لا يزول، فأذكرته إياها، وأذهلته عما سبقها، فهو حزن عظيم يلزم صاحبه في جميع أطوار حياته لا يفارقه أبدا.

ولعل طه حسين قاسمه هذه الأحاسيس والآهات، وأشد الناس صدقا وتألما ومقاسمة حيث يقول عن المكفوف: "إذا جالس المبصرين أعزل، وإن بزهم بأدبه وعلمه وفاقهم في ذكائه وفطنته، فقد ينتذرون عليه بإشارات الأيدي، وغمز الألحاظ، وهز الرؤوس وهو عن كل ذلك غافل و محجوب ... وليس له من ذلك إلا ألم يكتمه و حزن يخفيه "[4].

[1] – إبن بطوطة، "تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار"، ص 479.

[2] – إبن خلكان، "وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان"، المجلد الأول ص 116.

[3] – طه حسين، "تجديد ذكرى أب العلاء"، ص 101.

[4] – المرجع نفسه، ص 102.

4. أسرته :

الأسرة معين الإنسان الأول ومهده،[1] رافد أساسي يتلقى عنها التربية والأخلاق والسلوك والمبادئ المادية والمعنوية، ولهذا وصف الصفدي أسرته : "هو من بيت[2] علم وفضل ورياسة، له جماعة من أقاربه قضاة وعلماء".

وهذا الرأي أكده ياقوت الحموي قائلا : "أنها أسرة لها في المجد العلمي طارف وتليد، جده سليمان بن داود ولي قضاء المعرة وحمص، وعرف بالفضل وكرم النفس.

فولى بعد ابنه أبو بكر محمد بن سليمان عم أبي العلاء، وقد قصد الشعراء بالمدح، فلما مات ولي القضاء بعده أخوه عبد الله بن سليمان والد أبي المعري... هؤلاء من حضرني ممكن كان قبل أبي العلاء وفي زمانه"[3].

فالأصل العريق ضارب في هذه الأسرة، ووراثته للعلم والشعر فهي المنبت الطيب من الأب والأم، لقد كان أبوه وأخواله شعراء، قرضوا الشعر فأجادوا قرضه:

لقد ذكر المعري في أشعاره ورسائله كرم وحب أخواله له حيث يقول في مدح خاله علي بن محمد بن سبيكة : [4]

كأن بني سبيكة فوق طير يجوبون الغوائر والنجادا

أبا الإسكندر الملك اقتديتم فما تضعون في بلد وسادا

نلاحظ أنّ رسائل ولزوميات و ديوانه "سقط الزند"، تخلو من ذكر أسرته لأبيه، وتستغرق أسرته لأمه مقدارا غير يسير[5].

---

[1] – الطالب "حساني شريف نجيب"، إشراف د.محمد بن لخضر فوراري "رسالة الغفران للمعري قراءة تأويلية "، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، 2011-2012 ص 10.

[2] – الصفدي، "الوافي بالوفيات" مطالعة بن حجي الشافعي بن أبيك الصفدي أحمد بن مسعود، تحقيق و إعتناء تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ج7 ط1 2000، – ينظر ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء، ص 266.

[3] – ياقوت الحموي، "معجم الأدباء وإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب"، ج1 ص 296-297.

[4] – أبو العلاء المعري، "سقط الزند"، دار صادر، بيروت لبنان، (د،ط) 1985 ص 213

[5] – طه حسين، "تجديد ذكرى أب العلاء"، عني بنشره و تصحيحه توفيق الرافعي، مكتبة الهلال مصر، ط2 (د،ت) ص 133.

5. إسمه و كنيته :

أسماه أبوه أحمد و كناه بأبي العلاء، و هي طريقة العرب المتوارثة يسمون أبنائهم بالأسماء العليا رغبة في نيل المعالي تبركا بأسماء الأنبياء والصالحين.

لقد كره كنيته بأبي العلاء يقول: [1]

دُعيتُ أَبَا العَلاءِ و ذاك هَيْنٌ ولَكِنَّ الصَّحِيحَ أَبُو النُّزُولِ

يبدوا أن النوازل والإبتلائات الذاتية، أبت رسم البشرى على محياه، لتجعله أكثر صمودا، أمام نفسه ومجتمعه، لذلك أبي إلا أن يختار لها إسما مشتقا من حقيقتها، فقال في بعض تأملاته : "كنيت وأنا وليد بأبي العلاء فكأن علاء مات وبقيت العلامات، لا أختار لرجل صدق ما ولد له أن يدعى أبا فلان، ورب شجرة شاكة ثمرها غير عذب، وليس ظلها غير رحب، إسمها السمرة وكنيتها أم غيلان، ولو شاء الله قالت السعادة للإنسي: هذا برق سار، قال : لا ولكنه وميض نار "[2].

وإسمه المشتق هو "رهين المحبوسين " وقد أكد عليه في مقدمة ديوان لزوم ما يلزم : " قال أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي رهين المحبوسين تجاوز الله عنه، وإنما قال بقضاء لا يشعر كيف هو"[3].

إن هذا الشعور الغريب بأنه جسد محبوس في زنزانة الوجود الخانقة عبر ثنائية النور والظلمة وفي فكرة القضاء والقدر لا يجد لها مخرج.

المبحث الثاني:زمان أبي العلاء

أبو العلاء ثمرة من ثمرات عصره، قد عمل في إنضاجها الزمان والمكان والحال السياسية والإجتماعية بل والحال الإقتصادية ... إذا أراد الباحث أن يستقصي أمره، كان لابد أن يبحث

[1] – أبو العلاء المعري، "اللزوميات"، تحقيق أمين عبد العزيز الخانجي، مكتبة دار الهلال، بيروت ، ج2 (د،ط) (د،ت) ص 240.

[2] – أبو العلاء المعري، "الفصول و الغايات"، الضبط و فسر غريبه محمود حسن زناتي، دار الآفاق الجديدة، بيروت ، (د،ط) (د،ت) ص 209.

[3] – أبو العلاء المعري، "اللزوميات"، تحقيق أمين الرافعي، مكتبة الهلال، مصر ، ط2 (د،ت) ج1 ص 9.

عن حال الأمة العربية في عصره لا عن حال الأمة الإسلامية، وبين اللفظتين فرق، ما بين اللفظ الضيق المحصور واللفظ الواسع الحدود.[1]

إن الأمة العربية أشد الأمم تأثيرا وتكوينا للمزاج النفسي لأبي العلاء، لقد أنفق حياته في درس الأدب العربي، والتعمق فيه، حتى إستحال أو كاد يستحيل إلى كتلة عربية خالصة.

1. الحياة السياسية :

إن لعصر أبي العلاء فضل علينا، لتنشأ رجل من أبرز المفكرين في عصره وعده نقدة الأفهام حكيما من المقدمين، فهو خلاصة تجارب وأوضاع سيئة عاشها وتفاعل معها، وكان لزاما علينا الخوض فيها، بل تسليط الضوء على أبرزها.

كان علينا أن نحيي حلقة من تلك السلسلة الجميلة الوضاءة ... أن تقربنا من آبائنا الأخيار، فكيف وهم بناة المجد وشادته، وولاة العز وسادته والذين استذلوا الزمان فأخضعوه لسلطانهم وأكرهوه بخيار أعمالهم على أن يكتب أسمائهم في ثبت الخالدين ؟!...[2].

إن امرأ لا يصل حديثه بقديمه، ولا يؤلف بين لاحقه وسابقه، ولا يجمع طارفه إلى تالده ...[3] لا يكتب له الإستمرار والبقاء في سجل الخالدين.

نلم بعصر أبي العلاء لنستفيد لا لنفيد، أن نفهمه فهو متصل بعصره، غير منفصل عنه، ولا منقطع. الشام أيامه، اختلفت كثيرا، يعد شعبها خالصا من عدنان وقحطان، بل إمتزجت به أجيال أخرى، وسيطرت بدمه دماء لم يكن يعدها من قبل، إنها دماء المهجنين نتيجة المصاهرة والإسترقاق–الذرية المهجنة أعجمية الامهات وعربية الآباء – كالفرس والترك والهنود والبرابرة من شمال إفريقيا –.

شهدت هذه الفترة تدهور أوضاع العالم العربي الإسلامي بتأزم حال الخلافة وفساد الحياة السياسية وانحطاطها في ذلك العصر.

---

[1] – طه حسين، "تجديد ذكرى أبي العلاء"، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، 14 ديسمبر 1951، ص 23.

[2] – المرجع نفسه، ص 38.

[3] – المرجع نفسه، ص 38.

مع مجيئ النفود البويهي الذي لم يبق لمعنويات الخلافة إلا السلطة الإسلامية وقد : "كانت دولة الديلم ذات نفوذ وسلطة، وأي تعيين أو عزل لا يتم إلا عن طريقها، فهم اللذين خلعوا المستكفي، وأجبروا الخليفة المطبع على التنازل عن الخلافة، كما لاقى الخليفة الطائع نفس المصير"[1].

إنحطت الدولة العباسية في زمنهم، وتأخر حال العراق بسبب الغلاء والفوضى والإقطاع، وتوقفت التجارة في البلاد، حيث ملأ الخوف الناس على ما بأيديهم من أموال – إضافة إلى ظروف المعيشة التي كانت دون طموحات أفراد الدولة، مثل ما أجادته جند الأتراك وهم يطالبون برواتبهم من الخليفة – أحداث شغب وعنف – مما سمح لأحمد بن بويه بدخولها دون مقاومة وقد ذكر إبن الأثير أن معز الدولة البويهي أهان الخليفة وحدد له ألف دينار في اليوم ... ثم قطع ذلك الراتب بعد أن فتح البصرة ... عين إبنه سنة 334هـ [2].

ثم احتدم الصراع بين الأتراك والعباسيين ثم انتقل إلى البويهيين والأتراك الذين سلبت منهم السلطة، إضافة إلى المنازعات الدينية بين السنة والشيعة في بغداد وما جاورها بسبب مساعدة البوهيين للشيعة.

فقد كثرت أطماع البيزنطيين في ممتلكات المسلمين "فتوغلوا حتى وصلوا قرب حماة من ناحية الداخل وبلغوا طرابلس من جهة الساحل، واستولوا على طرطوس وأنطاكيا ... إلى أن جاء السلاجقة وطردوا البيزنطيين وأسسوا دولة (سلاجقة الروم)، وكانت سببا في قيام، الحروب الصليبية"[3].

في هذا الحقل المشحون بالتلون المذهبي والتنافس السياسي، نرى بأن أبا العلاء المعري لم يكن بعيدا عن دائرة هذه الأحداث، وما تركت في نفسه من أثر بليغ في نفسيته[4] فلقد إتصل بأربع دول في حياته كان لها أثر عميق في تفكيره وحياته : "أما أولى هذه الدول فهي دولة الديلم في بغداد وقد

[1] – حسن إبراهيم حسن، "تاريخ الإسلام السياسي و الثقافي و الديني في الشرق و مصر و المغرب و الأندلس"، ج3 ص60، ينظر أيضا أحمد امين– ظهر الإسلام مؤسسة هنداوي صادر 2013، ج1 ص 39.

[2] – إبن الأثير، "الكامل في التاريخ"، راجعه و صححه محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، المجلد1 ط1 1986 ص 162.

[3] – إبن العديم، "زبدة الحلب من تاريخ حلب"، وضع حواشيه خليل منصور، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1 1996 ص 196.

[4] – عبد القادر زيدان، "قضايا العصر في أدب أبي العلاء"، دار الوفاء للطباعة و النشر الإسكندرية مصر،ج2 ط 1 2007 ص 12-13.

اتصل بها لمدة وجيزة وهي المدة التي قضاها في بغداد أواخر القرن الرابع للهجرة"، والثانية هي الدولة الفاطمية التي دانت لها مصر بعد انهيار الدولة الإخشيدية وتطلعت إلى حكم الشام، حيث يقول ياقوت والصفدي : "من أن المستنصر الفاطمي قد وهب لأبي العلاء، ما في خزائن المعرة من المال، فرفضه ... "[1]." أما الدولة الثالثة فهي الدولة الحمدانية في حلب ثم الدولة المرداسية التي قدرلها أن ترث الدولة الحمدانية ردحا من الزمن ... "[2].

إن حديث أبي العلاء المعري عن الشام في عمومه ينضح بالمرارة والألم نتيجة ما لحق بالأمة الإسلامية من دمار وإنهيار بعد ما كان لها من عز المجد أيام سيف الدولة الذي قاد الجيوش بنفسه لقتال الروم، تدهورت الأوضاع فيما بعد.

السؤال الجدير بالذكر: هل كانت الحياة العامة للثقافة كالوضع السياسي في تجاذب وتنافر ، أم رسمت صورا أخرى ؟ وكيف كانت مميزاتها ؟[3].

2. الحياة الإجتماعية :

حكام يتطاحنون على السيادة والمال، حتى كان بعضهم لا يتورع في الإستنجاد بالروم وهم في هم على منافسهم في الحكم[4]، فساد الجشع والعنف في النفوس، وحب الزعامة بين الرؤساء والملوك، فضيق في العيش وإنتشار الأوبئة وكثرة الضرائب واستفحال الطبقية، حتى أصبحت الثروة في يد قلة قليلة من الأغنياء، بينما السواد الأعظم من الناس يعاني من الفقر والضرائب التي زادت واضطربت تبعا لكثرة الولاة، والجبايات ترهق الشعب الشامي إرهاقا حتى هجر الفلاحون مزارعهم، مع تضييع الحكام لواجباتهم تجاه الرعية[5].

لقد ضاعت الحقوق الإجتماعية وانتهكت إنسانية الإنسان، وتفشت القيم الفاسدة، وظهر الرياء والنفاق وظهرت الملل والنحل وكثرة المذاهب الطائفية التي دعمت العامة وإتخذتها

[1] – طه حسين، "تجديد ذكرى أب العلاء"، ص 45.

[2] – عبد القادر زيدان، "قضايا العصر في أدب أبي العلاء"، ج2 ص 16.

[3] – "رسالة الغفران للمعري قراءة تأويلية "، ص 60.

[4] – عبد المجيد دياب، " أبو العلاء المعري الزاهد المفترى عليه"، الهيئة العامة للكتاب مصر، ط 1 1986 ص 9.

[5] – "رسالة الغفران للمعري قراءة تأويلية "، ص 54.

وسيلة في ثروتها، واضطرب حبل الأمن، وغذت مناطق الزراعة عرضة للغزو والنهب، اتسعت الهوة بين غني وفقير، وقوي وضعيف، وعالم وجاهل، فكان من ثم الفساد الذي دب في الأخلاق وشل الصلات الإجتماعية بينهم.

3. الحياة الإقتصادية :

إن إستقامة الحال الإقتصادية في بلد من البلاد، موقوفة على الأمن والسلم والعدل، وقد حرمت الأمة الإسلامية في عصر أبي العلاء من هذه الخصال الثلاثة[1].

حرمت الأمن: لضعف الحكومات وإشتغالها بقمع الفتن ورد الغارات ومكافحة الخصوم، وحرمت السلم: من ضعف الخلافة و إستلاء التنافس على العمال، وحرمت العدل: "لم تقع لتحق حقا أو تبطل باطلا، وانما قامت لترضي شهوة وتقضي لذة وتقنع الهوى ... فكانت مجاعات بغداد وأزمات القاهرة تلك التي كانت تضطر الناس، إلى أكل الكلاب و الميتات ... "[2] هذه الحالة الإقتصادية السيئة قسمت الأمة إلى طبقتين متمايزتين لا توسط بينهما: طبقة الأغنياء والفقراء المعدمين.

4. الحياة الثقافية :

لقد أثبتت الدراسات التي اهتمت بالأدب وتاريخه، لم يشهدوا عصرا زهت فيه حياتهم الفكرية، وأتت أطيب الثمر، كالعصر الذي عاش فيه شاعرنا فضعف السياسة قد عمل على تقوية العقول.

لقد كانت الحياة الثقافية مزدهرة، فالعلم والأدب لم يتأثروا بالإنحطاط الذي أصاب خلفاء بغداد، إضافة إلى حركة الترجمة التي نقلت عجائب الأمم المختلفة، خاصة الأمة اليونانية، ومن عوامل الإزدهار التي أظلت أبا العلاء المعري النوادي الثقافية، ويرى أحمد أمين لما استقلت الأقطار: "أصبحت كل عاصمة قطرا و مركزا هاما لحركة علمية وأدبية، ويتفاخرون فيما بينهم بالثروة العلمية والأدبية كما يتفاخرون بعظمة الجند وعظمة المباني"[3].

---

[1] – طه حسين "تجديد ذكرى أب العلاء"، ص 39.

[2] – المرجع نفسه، ص 39.

[3] – أحمد أمين، ظهر الإسلام مؤسسة هنداوي صادر 2013، جزء1 ص 65.

إن عصرا ينبغ فيه من الشعراء: "الرضي والمتنبي وأبو العلاء، ومن الكتاب:ابن العميد، وابن عباد، والصابئ ومن الفلاسفة: الفارابي، وابن سينا، ومن الأدباء أبو هلال والآمدي والجرجاني ومن النحويين: ابن خالو يه، وابن جني ، وأبو علي الفارسي والسيرافي "[1]. عصر ينبغ فيه هؤلاء وأمثالهم لكفيل ان يكون عصر رقي ونهضة لا عصر ضعف وانحطاط في العلوم والآداب.

المبحث الثالث: ثقافته

1. تربيته و تعليمه :

كانت عادة أهل الشام والعراق والبلاد التي غلبت فيها اللغة العربية، أن يبدأ الناشؤون فيها بدرس علوم اللسان والدين، لذلك بدأ أبو العلاء درسه اللغوي، في سن لم يعينها التاريخ[2]، قد بدأ يقرض الشعر و لم يتعد الحادية عشر من عمره، قال ياقوت: "قال الشعر وهو ابن إحدى عشر سنة"[3] وذكر ذلك السيوطي والصفدي. ارتحل إلى حلب ليسمع اللغة والآداب من علمائها الذين شهدوا "ابن خالويه".

لقد كانت حلب في ذلك العصر إحدى الحواضر، الكبرى للمسلمين، تزدهي بكبار العلماء والأدباء وفحول النظم والنثر، ثم سافر إلى أنطاكية وكانت فيها مكتبة عربية تشمل نفائس الكتب، فحفظ ماشاء الله أن يحفظ.

سافر إلى طرابلس الشام، قال السيوطي: "قال الصفدي والذهبي: فمر في طريقه باللاذقية، فنزل بدير فيها، كان فيها راهبا قد درس الفلسفة وعلوم الأوائل، فأخذ عنه ماشككه في دينه و غيره من الديانات ثم استغفر وتاب "[4].

عاد إلى المعرة، درس على أبيه ثم انتقل إلى حاضرة إقليمية، فدرس على علمائها، فقضى عشرين عاما منقطعا للعلم والتحصيل، فأتم الدرس، وفرغ من الطلب، لا يحتاج إلى مرشد ولا مؤدب.

---

[1] – طه حسين، "تجديد ذكرى أبي العلاء"، ص 39.

[2] – المرجع نفسه، ص 103.

[3] – ياقوت الحموي، "معجم الأدباء وإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب"، ج1 ص 295.

[4] – السيوطي،"بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر بيروت لبنان، ج1 ط2 1979 ص 316.

2. موت أبيه :

لما بلغ الرابعة عشر من عمره، مات والده سنة سبع وسبعين وثلاثمئة، فحفظ في قلبه تذكار ما عهد من بر أبيه به وحنون عليه، هو الذي كان في صباه مكان الأدب والأستاذ معا، فقد تعهد جسمه وعقله وخلقه بالتربية والتنشئة فصاغه على مثله ما استطاع[1]، رثى أبو العلاء والده بقصيدة في كتابه "سقط الزند".

3. رحلته إلى بغداد :

كانت بغداد في عهد المنصور، مدينة جميلة، عظيمة العمران، تزدان بالخلافة والقبة الخضراء ورفيع البناء.

أصبحت مقر الأسرة المالكة من بني العباس، ومقام الأشراف من العرب والفرس، وملتقى التجار من أنحاء العالم الإسلامي، وكعبة يقصد إليها الشعراء والعلماء واللغويين والرواة ومن الفقهاء والمحدثين ومن الأطباء والمنجمين ومن التراجمة والمعربين ... [2].

سافر أبو العلاء المعري إلى بغداد سنة 398 هـ، وأقام بها سنة وسبعة أشهر[3]، ويذكر ابن خلكان أن المعري دخل بغداد مرتان، الأولى سنة ثمان وتسعين وثلاثمئة والثانية سنة تسع وتسعين[4].

كانت الحياة العلمية، غضة نضرة مليئة بالمجامع العلمية والأدبية كمجمع زعيمه"الشريف الرضي"، ومجامع فلسفية وكلامية ومجالس المناظرة في الفقه والكلام، كان يسعى إلى دروس العلماء ومجالسهم، وقد زار المكتبتين، مكتبة "ستابور بن أردشير"[5]، قرأ ما فيها من كتب الفلسفة والحكمة ومن دواوين الأدب واللغة، اشترك في المجامع العلمية والأدبية العامة والخاصة مثل المجمع الخاص الفلسفي الذي كان يقام يوم الجمعة بدار عبد السلام البصري[6]، وكان يحضر المجالس

---

[1] – طه حسين، "تجديد ذكرى أبي العلاء"، ص 111.

[2] – المرجع نفسه، ص 116.

[3] – الصفدي، "الوافي بالوفيات"، ج7 ص 64.

[4] – إبن خلكان، "وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان"، المجلد الأول ص 114.

[5] – مكتبة أسسها هارون الرشيد بين السورين سنة 381 و التي سماها أبو العلاء "بدار العلم".

[6] – طه حسين، "تجديد ذكرى أبي العلاء"، ص 135.

الشعرية بمسجد المنصور وينشد أشعاره، لقد فرح أهل بغداد بهذا العالم، ولعل قصيدته التي ساقها إلى أبي حامد، لفتت الناس إليه، فشهرته سبقته فلما جالسوه، بهرهم منه علم جم، وفضل كثير فرحبوا به حيث يقول في إحدى رسائله إلى خاله أبي القاسم:

"و رعاية الله شاملة لمن عرفته ببغداد ، فقد أفردوني بحسن المعاملة ، و أثنو علي في الغيبة و أكرموني ، دون النظراء و الطبقة "[1].

قرر أبو العلاء العودة إلى المعرة سنة 400هـ، رغم إلحاح أهل بغداد ببقائه، وبذلوا له الأموال، ورغبوه في ألوان النعمة. لقد كانت بغداد العين القصصية التي لا يشرب منها شارب إلا كلف بقربها وتعذب لأجلها فهي المورد العذب للعلم[2].

4. موت أمه :

زادت محنة وانتكاس المعري، فقد بلغ وهو في طريقه إلى المعرة نعي أمه ورحيلها، فضاع آخر ما كان يملك من ثقة بالدهر واطمئنان إلى الأيام، افتقد من كان يرجوا لقائه، ويحرص أشد الحرص على وداعه وتزود منه، "إن لم يكن من فراقه بد ولا عن بعده منصرف"[3] كان فقد أمه خاتمة ما قدر عليه زمن الفشل، فصور نفسه صبي مازال بحاجة إلى شعاع قلب والدته[4]:

مضت و قد اكتهلت فخلت أني *** رضيع ما بلغت مدى الفطام

5. إعتزاله الناس :

لما رجع إلى المعرة لزم بيته فلم يخرج منه، وسمى نفسه رهين المحبوسين يعني حبس نفسه في المنزل وترك الخروج منه وحبسه عن النظر إلى الدنيا بالعمى، هذا ما قاله ياقوت الحموي[5].

فإن ما لقيه من أذى الدهر ولؤم الناس بغض إليه الاجتماع وحبب إليه الإنفراد. فهو لم يعتزل الناس إلا بعد بحث وتفكير، وبعد روية وإجالة نظر، وبعد استشارة أصدقائه. ورغم ذلك فشل في

[1] – المرجع نفسه، ص 122.

[2] – المرجع نفسه، ص 135.

[3] – طه حسين، "تجديد ذكرى أبي العلاء"، ص 137.

[4] – أبو العلاء، "سقط الزند"، ص 39.

[5] – ياقوت الحموي، "معجم الأدباء وإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب"، ج1 ص 303.

طلب العزلة، فأخذ الناس يسعون إليه والحياء كان يحول بينه وبين ردهم، فإنه أن زهد في كل ملذات الحياة لا يستطيع أن يزهد في العلم والتأليف، إشتغل بالتعليم، فإلتف حوله الطلاب وأخذوا يدرسون عليه اللغات وآدابها، وكثر سوادهم حوله فإستحالت عزلته إلى أشد أنواع المعاشرة[1].

لم تكن لأبي العلاء زوج ولا ولد، كان يحب أمه، لا نعرف أنه جالس الناس على مائدة، ولا نعرف أنهم رأوه يأكل، أما طعامه العدس والتين، كان يقضي نهاره في القراءة والدرس، وليله في التفكير والبحث، ثم الراحة والنوم. كان لباسه غليظ الثياب من القطن، وفراشه اللبد في الشتاء، وحصير البردي في الصيف، كان شديدا على نفسه يكلفها من الآلام ما لا تطيق، فربما إغتسل بالماء البارد في الشتاء. لقد "بقي خمسا وأربعين سنة لا يأكل اللحم والبيض ويحرم إيلام الحيوان ويقتصر على ما تنبت الأرض"[2].

6. أخلاقه :

زهده وإعراضه عن ملذات الحياة، العفة والقناعة وعزة النّاس، مقلا من المال، مكثرا من الأدب والعلم فلم يكتسب بالشعر، ولم يكلف نفسه مذلة السؤال، ضبط النفس وقهر الشهوات، فإن رجلا ينيف على الثمانين من غير أن يتزوج وهو بحاجة إلى ولد صالح يعينه، مسيطر على شهوته، باسط سلطان عفة على ماله من حس وشعور.

رقيق القلب، شديد الرحمة، كثير العطف على الضعيف، كريم، سخي، طيب النفس، الكذب عدوه وخصمه. كان فطنا ذكيا، يمتاز بقوة الذاكرة وسرعة الحفظ، كان ناذر الذاكرة، يحفظ ما يسمع.

كان يمتاز بثقة قوية بنفسه لجود حفظه وقوة فهمه، فهو لم يتهم بكذب ولم يطعن عليه بتدليس ويقول القفطي: " أن أبا العلاء كان يثق بنفسه، ويعتقد أنه أدرك اللغة، وأنها في عصره لأنضج منها في عصر إبن السكيت".

[1] – إبن خلكان، "وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان"، المجلد الأول ص 114.

[2] – ياقوت الحموي، "معجم الأدباء وإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب"، ج1 ص 303.

7. إتهامه بالزندقة :

تضاربت الآراء حول عقيدة المعري، و لم يجزم أحد في معتقده، فقد اتهم بالزندقة والإلحاد، نتيجة للدروس الفلسفية التي كان يلقيها، شاعت عنه، وتناقلتها الناس، قال عنه ياقوت الحموي: "متهما في دينه، يرى رأى البراهمة " ولا يرى إفساد الصورة ولا يأكل لحما ولا يؤمن بالرسل والبعث".

نرجع هذا الأمر إلى عدة أسباب، أولاها كثرة الملل والنحل في ذلك العصر، تسرب الآراء الغريبة حول الإسلام، ثقافة أبي العلاء التي امتدت إلى كثير من الفلسفات حول الحق والموت والخلق، والموت والنشور، فأصيب بالحيرة ويرى عطا بكري: "كان أبو العلاء حذرا من الناس، سيئ الظن بهم، مشككا بأمرهم، لهذا كان يستعمل الحيطة والحذر في مراسلاته، فيكاتب الناس حسب مذاهبهم ومشاريعهم وإتجاهاتهم الفكرية"[1].

لذلك إستعمل الرمز والمجاز والتقية، فكانت من أسباب غفلة بطش حكام عصره عليه. وهناك من عده زاهدا وعابدا تقيا يروض نفسه على الخشونة والإعراض عن الدنيا، ومقتنعا بفكره وتوجهه، لكن يبقى المحير هو مصدر القناعة لديه أهو ذاتي؟ أم مصدره ديني، أم إعتقاد إنساني وتكون مذهبه خفي؟

لكن ابن العديم رفع عنه هذه التهم بقوله: "رموه بالإلحاد والتعطيل والعدول عن سواء السبيل، فمنهم من وضع على لسانه أقوالا ملحدة، ومنهم من حمل كلامه على غير المعنى الذي قصده "[2].

فهذا الدفاع إبراز لمكانته العلمية وإشارة إلى الحسد القائم بين العلماء وإلى انتشار الوشاية في ذلك العصر، غير أن هذا الدفاع يبدو غريبا، أيبلغ الحسد في النفوس هذا الغلو والتطرف والكيد بسبب تفوقه في علم دنيوي. إن أبا العلاء المعري صاحب علم وشأن ووجاهة علمية إلا أن إغراقه في الكثير من مشاكل القضاء والقدر والبعث، ولد له فكرة فساد الديانات وانتشار البدع والضلالات

[1] – عطا بكري، "الفكر الديني عند أبي العلاء المعري"، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان، ط1 سنة 1980 ص 83.

[2] – إبن العديم، "الإنصاف و التحري في دفع الظلم و التجري عن أبي العلاء المعري"، ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء المعري، تحقيق.الدكتور عبد العزيز هرفوش دار الجولان سنة 2007 ص38

فكثر حديثه عن الظاهر والباطن، وقد أدى به إلى قناعته بفساد الطبائع البشرية في الأقوال والأفعال.

8. علم أبي العلاء :

إن العلم هو الذي ملك حياة أبي العلاء، اعتمد على نفسه في تحصيل علمه أكثر مما اعتمد على الأساتذة والشيوخ وتأثره بالقراءات واضح، لقد اتقن أبو العلاء عدة فنون منها:

أ. العلوم اللغوية : هي أقوى الفنون وأنضجها علما، فهي التي أمدت شعره ونثره بالغريب واصطلاحات العلم، وهو الفن الذي تخرج فيه التلاميذ النابغون، وألف فيها الكتب الضخمة.

لقد نبغ في النحو، فألف أكثر من ستة كتب، أما في العروض أخصها بجامع الأوزان الذي فصل فيه ضروب الشعر وقوافيه، ومثل لها بأشعار نظمها و لم يروها عن غيره، وتبلغ هذه الأشعار تسعة آلاف بيت.

إذا قرأنا رسالة الغفران، عرفنا مقدار حذقه وقوته في استظهار الغريب وتحقيقه، لقد استفاد من اختلاف العلماء في الألفاظ التي وردت في الشعر القديم وأنواع الإعراب والتصريف .

ب.العلوم الفلسفية :

الفلسفة العلائية كما سماها طه حسين في كتابه تناولت أطراف العلم الإنساني وبحثت عن المظاهر العلمية للإنسان في حياته الخاصة والعامة.

لقد أخفى أبو العلاء مذهبه عن الناس، هي التي حالت بين العقول وبين فلسفته، فجعلته ملحدا في نظر الناس، مجهولا للتاريخ والمؤرخين على السواء، يرجع طه حسين سبب هذا الغموض إلى ألفاظه وأساليبه من جهة، ولغموض الكتب والأسفار التي ألفت في الفلسفة الإسلامية عامة.

ولعل طه حسين من الأوائل في الوطن العربي، الذي استطاع أن يفصل الفلسفة العلائية تفصيلا يظهر للناس أسرارها ودقائقها، ويترلها من عقولهم مترلة الشيء الواضح المفهوم حيث يقول: "ولعلنا أول من ظفر بذلك، ونحن نرى هذا الظفر – نجاحا عظيما – و فوزا مبينا ... و نرجو رد

فلسفته كافة إلى مصادرها، ونقد هذه الفلسفة نقدا يميز حقها من باطلها، ويفرق بين الخطأ فيها والصواب"[1].

جمع أبو العلاء بين الفلسفة العلمية والعملية وبين العلم واللغة، فحرم الحيوان والتزم النبات وأبى الزواج والنسل، واعتزل الناس ورض الخمر وألف في ذمها كتابا خاصا سماه (حماسة الراح)[2] أنكر النبوات واعترف بالإله، وعرض بالتكليف، وعارض القرآن، وهزئ بشيء من أحكامه.

ج. مصادر فلسفته :

إن الطريق الذي سلكه لم يكن مختارا فيه، وإنما خضع لأسباب قاهرة دفعته إليه، إن فلسفته نتيجة حتمية "لكل ما أطاف به من أحوال عصره"[3].

و أهم مصادرها :

1. الحياة نفسها :درس حياة قومه، نقد عاداتهم وأخلاقهم وآدابهم التي لم ترقه.
2. الفلسفة اليونانية ; والهندية التي اطلع عليها في بغداد.
3. الفلسفة الفارسية: لقد ظهرت الكتب الفارسية مترجمة في أيام العباسيين بفضل ابن المقفع، و بني بخت.
4. كتب الدين على اختلافها : إطلاعه على الديانات (الإسلام، اليهودية، النصرانية، المجوسية) و ناقشها.

قراءاته المتعددة وتأثره الواضح، تكون المزاج الفلسفي لأبي العلاء، فهو جعله يؤمن إلا للعقل وحده، فخالف به أهل السنة، لأنهم يقدمون الشرع على العقل وإن آمنوا به.

[1] – طه حسين، "تجديد ذكرى أبي العلاء"، ص 264.

[2] – المرجع نفسه، ص 246.

[3] – المرجع نفسه، ص 246.

د. دراسة فلسفته من وجهة نظر طه حسين :

يقول طه حسين: "تناول أبو العلاء[1] بفلسفته، فبحث عن العالم وما فيه، وبحث عما وراء المادة، بحث عن السياسة والأخلاق وأطوار الاجتماع".

قسمها إلى أربعة أنواع :

1) الفلسفة الطبيعية: أو العلم الأدنى تناول فيه البحث عن المادة والزمان والمكان و تناهي الأبعاد.

2) الفلسفة الرياضية: أو العلم الأوسط، تناول العدد والمقدار.

3) الفلسفة الإلهية: أو العلم الأعلى، تناول وجود الإله، وأن لهذه الموجودات علة، وقد أثبت أن الله واجب بذاته، موجود أزلا وقال:[2]

أثبت لي خالقا حكيما ولست من معشر نفاة

4) الجبر: إن الإنسان يدخل هذه الدنيا محاربا، ويخرج منها كارها ولو خير ما اختارها فيقول:

يسعد قوم ويشقى آخرون فقد أثبت الجبر

في الدخول إلى الحياة والخروج منها.

- الروح: لقد تأثر بالمذهب الأفلاطوني المؤمن بـــ "الروح هو جوهر مجرد ، قد أهبط إلى هذا البدن ليبتلي به، ثم هو عائد بعد الموت إلى العالم العقلي ، فمعذب أو منعم ... "[3] يرى أن الخير هو الجسم وأن الشرير هو الروح.
- التناسخ: رفض فكرة التناسخ التي كانت مذهب أشيع عند الهنود.
- الجن والملائكة: لقد أنكر وجود الجن والملائكة في اللزوميات "فرسالة الغفران "مملوءة بالسخرية المؤلمة من الجن والملائكة، وقد نظم الشعر على ألسنة الجن الذين دخلوا الجنة.

[1] – طه حسين، "تجديد ذكرى أبي العلاء"، ص 247.

[2] – أبو العلاء المعري، "اللزوميات".ص95

[3] – المرجع نفسه.

- النبوات: كان منكرا جاحدا لصحتها ونص على ذلك في اللزوميات صراحة غير مرة وقد انكر الديانات ونرجع ذلك إلى الحياة الدينية السيئة في عصره، وهذا هو الخطأ الذي وقع فيه دون أن يشعر حيث يقول طه حسين معقبا على هذه الفكرة: "...غير أن الخطأ الذي وقع فيه كارها من غير شك، هو أنه حمل على الدين ذنب أهله، وعاب الشرائع بآثام أصحابها ... "[1].

إن عقيدة أبا العلاء طاهرة نقية، لكنها خالطت النفوس الفاسدة والقلوب المريضة، فليس العيب فيه لوحده، وإنما هو عيب الناس الذين انتحلوها، فلم يحسنوا الرعاية لها، ولا الحرص عليها، ورغم ذلك فقد مدح الإسلام، وفضله على الأديان عامة، فقال :

إن لحق الإسلام خطب يغضه فما وجدت مثلا له نفس واجد[2]

و مدح النبي و شريعته بقصيدة مطلعها:[3]

دعاكم إلى خير الأمور محمد وليس العوالي في القنا كالسوافل

حذاكم على تعظيم من خلق الضحى وشهب الدجى من طالعات وآفل

- البعث : لم ينكره إنكارا تاما، ولكن شك فيه شكا شديدا.

5. الفلسفة العملية: شك في أصل الإنسان فظن أن آدم عليه السلام هو شخص من أشخاص الأساطير.

- غرائزه: إن الإنسان شرير بطبعه، وأن الفساد غريزة فيه، وهذا الرأي بنى عليه سيرته الخاصة، فآثر العزلة والإنصراف من الاجتماع.
- الدنيا: إنه أكثر الشعراء ذما للدنيا، وقد كنا ها (أم 4 دفر) كثرة لؤمها وخستها فقال طه حسين عنه: "...فقد كان لها قاليا ، و عليها زاريا ... "[4].

[1] – طه حسين، "تجديد ذكرى أبي العلاء"، ص 248.

[2] – المرجع نفسه، ص 246.

[3] – المرجع نفسه، ص 246.

[4] – طه حسين، "تجديد ذكرى أبي العلاء"، ص 250.

- العدم :كره الوجود وآثر العدم وتمنى للوليد ألا يولد، وللحي أن يفنى.
- الزواج: أعرض عن النسل.
- المرأة: فهي لا تصلح لشيء، لقد أساء الظن بها في جميع أطوارها.
- الأخلاق: بنى رأيه في الأخلاق على قاعدة اللذة التي وضعها الفيلسوف اليوناني "أبيقور" ولهذا آثر الزهد والقناعة:
- السياسة: سخط على ظلم الملوك والأمراء للرعية، دعاه إلى التفكير في مصدر السلطة.
- الاقتصاد: أحب المساواة وأمر بها، كره إنقسام الناس إلى فقراء وأغنياء، و تمنى أن يشترك الناس في النعمة كما اشتركوا في البؤس.
- تكريم الجسد بعد موته: إذا مات الإنسان لم يحفل بجسمه، فلم يرضى أبي العلاء بتكريمه في ثابوت كما يفعل النصارى، بل يوالي التراب أو يحرق، فإنه لا يحس ولا يتألم، فقد استحسن فكرة الهنود وأحبها.
- الحيوان: حرم الحيوان وأخذ فكرته عن أهل الهند، وأحب ما يخرج من الثمرات.
- العزلة: كان يؤثر العزلة، وإن لم يوفق فيها، وهي مذهب قديم معروف[1].

6.دروس الفقه: لقد درس في الفقه مقدارا غير قليل، كما تدل على ذلك الإصطلاحات الفقهية المنتشرة في آدابه وكتبه.

7.القرآن وعلومه: قد أتقن حفظ القرآن فكتابه "تضمين الآي"، وإن لم يصل إلينا، فإنه قد حرص فيه، على أن يأتي بطائفة من كلمات المسجوعة ويختم كل فصل منها بآية مقتبسة من القرآن.

المبحث الرابع : مكانته الأدبية

لقد كان أبو العلاء في القرن الخامس بإقليم حلب كإبن خالويه في القرن الرابع، فتسامع به أهل حلب خاصة، ثم أهل الشام عامة، ثم أهل البلاد الإسلامية جميعا، وأخذ الطلاب يفدون عليه من

[1] – طه حسين، "تجديد ذكرى أبي العلاء"، ص 265. المقالة الخامسة.

أقطار الأرض يحترقون في سبيل ذلك بعد المشقة وقلة المال، وحتى الأئمة والخطباء، فقد إرتحل إليه الخطيب التبريزي "من خرسان، ماشيا، ووصلت رسائله إلى عظماء الشام والعراق والوزراء والأمراء والقضاة والعلماء وأصحاب المكانة. أبو العلاء واحد من النابغين والعبقريين في عصره، بل من أبعدهم غورا وأمثلهم سجلا وأعذبهم موردا وأعجبهم حالا ... "[1].

كان كفيف البصر، لم يقل الشعر مكتسبا، إن هذه النفس لا تحرم نورا علويا، ولا تمنع عروجا سماويا، إن فضل أبي العلاء لم يظهر في عصره جليا مثلما ظهر في عصرنا الحديث، عصر الأبحاث والشكوك، حيث انتشرت العقول، وتناحرت الآراء، وثارت أعاصير الريب، فكان فضله في هذا المضطرب الهائل للمذاهب والمزدحم للفلسفات، فارتفع الرجل مكانة عالية والتي كان لابد أن ينالها بين السابقين الأولين.

المبحث الخامس: وفاته و آثاره

1. شيخوخته: هرم أبو العلاء وأصابته الشيخوخة ولكننا لا نعرف أنها أضعفت ملكة من ملكاته العقلية والخلقية، وإنما قضى الرجل حياته، ثابت النفس، راجح الحلم، مصيب الفكر، قوي العقل، صادق القول، معتدل المزاج، إلى أن أصابه المرض الذي مات به[2].

2. وفاته: يقول إبن خلكان : "وكان مرضه ثلاثة أيام ومات في اليوم الرابع، ولم يكن عنده غير بني عمه فقال لهم في اليوم الثالث: أكتبوا عني الدوى والأقلام، فأملي عليهم غير الصواب، فقال القاضي أبو محمد عبد الله التنوخي: أحسن الله عزاءكم في الشيخ، فإنه ميت، فمات ثاني يوم "[3].

[1] – كلمة الباحث (محمد فريد وجدي بك) ص 20
"رسالة الغفران" – مقدمة الكتاب

[2] – طه حسين، "تجديد ذكرى أبي العلاء"، ص 156.

[3] – إبن خلكان، "وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان"، المجلد الأول ص 115.

أما تاريخ وفاته، فتوجد روايات كثيرة أشهر أنه توفي في معرة النعمان عن ست وثمانين سنة يقول الخطيب البغدادي: "مات يوم الجمعة الثالث عشر من شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعمائة "[1]. فالأشهر أن العام الذي توفي فيه 449هـ.

أمّا يا قوت الحمري يقول: "مات يوم الجمعة الثاني من ربيع الأول سنة تسع وأربعين وأربعمئة"[2].

وقد جاء في كتاب طه حسين: "أنه مات في اليوم العاشر من شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين[3] وأربعمئة للهجرة وسنة ثمان وخمسين و ألف للمسيح ".

خمدت تلك القوة التي طالما صدر عنها من الآثار النافعة ما أرضى قوما وأسخط آخرين، استقصى طبائع الناس، وحكم عليها بالخساسة والنفاق وسوء الطبع وعدها أقرب إلى الغدر منه إلى الوفاء، فظفر بما كان يرجوه ويحرص عليه من فراق الحياة ورجوع جسمه إلى عنصره الذي منه إئتلف وتركب[4].

3. آثاره و مؤلفاته:

ألف أبو العلاء من الكتب المنظومة والمنثورة في العلوم والآداب وقد أحصى العلماء هذه الكتب بخمسة وخمسون كتابا في أكثر من أربعة آلاف كراسة تناولت اللغة والفنون والأدب وألوانه والوعظ وأنواعه، وكثير من هذه الكتب، لم يكتبه أبو العلاء إلا حين طلبه منه بعض الناس و لم يصل إلينا منه شيء أثنى عليه تحزيب الصليبيين لها و تحريقهم لما فيها.

يحدثنا "ناصري خسرو" في رحلته: "إن أبا العلاء نظم من الشعر مائة ألف بيت وذلك في سنة 438هـ أي قبل موته بعشر سنوات، والأمر في نثره كالأمر في شعره، بل هو أشد غرابة وأدعى إلى العجب"[5].

---

[1] – الخطيب البغدادي، "تاريخ بغداد"، حققه وضبط نصه الدكتور عواد معروف دار الغرب الاسلامي ط1 سنة 1422ه 2001م ج 4 ص 241

[2] – ياقوت الحموي، "معجم الأدباء وإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب"، ج1 ص 296.

[3] – طه حسين، "تجديد ذكرى أبي العلاء"، ص 156.

[4] – المرجع نفسه، ص 156.

[5] – طه حسين، "تجديد ذكرى أبي العلاء"، ص196 المقالة3.

أ. نثره: أهم ما ذكر في كتاب ياقوت الحموي من مؤلفات وهي :

✓ **الكتب:** كتاب "الفصول والغايات"، "السادان"، "إقليم الغايات"، "الايك و الغصون"، "تضمين الآي" "سيف الخطبة" "مجد الأنصار في القوافي"، ""، "دعاء الساعة "، "وقفة الواعظ"، "سجع الحمائم"، "حماسية الراح"، "استغفر واستغفري"، يشتمل على عشرة آلاف بيت، "الصاهل والشاحج" و "تاج الحرة "...

✓ **الرسائل:** الرسائل كثيرة، وهي ثلاثة أقسام رسائل طوال تجري مجرى الكتب المصنفة مثل : "رسالة الملائكة "، "الرسالة السندية"، "رسالة الغفران" و "رسالة الفرض".

- والثاني: رسائل دون هذه في الطول مثل: "رسالة المنيح" و"رسالة الإغريض".
- والثالث: كتاب "الرسائل القصار" كنحو ما يجري به العادة في المكاتبة وقيل أنها أربعون جزءا[1].

✓ **أسرار الكتابة النثرية و خصائصها :**

– يمتاز أبو العلاء بذوق رفيع في تسمية كتبه، تدل على مزاج معتدل وذوق رقيق. كلها تحمل مسميات روحية وبداخلها أمور لغوية وصرفية ونقدية تكتسي طابع الحوار في أغلبها، معتمدة على السؤال والجواب وتقصي الحقائق مشفوعة ببحث استطرادي يغوص في العام والشائع والمهمل. مرده إلى الجانب التعليمي فيها وإلى طبيعة أبي العلاء المعري الذي يبحث في أمور اللغة والمجتمع والدين والحياة عامة نظرة خاصة تكاد تكون فوق الأدبية. لكنها لا تصل إلى الفلسفية.

أبو العلاء المعري هو أظهر الكتاب المسلمين شخصية وأوضحهم عاطفة في نثره، لأنه لم يستطع أن يكون منافقا، و لم يوفق إلى تكلف الحيلة في إخفاء نفسه، وإن وقف التوفيق كله في تكلف السجع والغريب[2].

– لقد حكم قانونه الفلسفي الصارم في نثره كما حكمه في شعره وحياته.

[1] – ياقوت الحموي، "معجم الأدباء وإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب"، ج1 ص 328 –334.

[2] – طه حسين، "تجديد ذكرى أبي العلاء"، ص196 المقالة3.

– حرصه على الإستقصاء التام، بحيث إذا عرض لمسألة لغوية أو نحوية في طريقه، لم يستطع أن ينصرف عنها حتى يستقصيها.

– المبالغة القليلة، ولكنها لم تنجح.

– الغريب والسجع الملتزم، أحدهما يذهب فيه مذهب الإنشاء والتنميق والآخر يذهب فيه مذهب القصص التاريخي والعلمي.

– طرق بنثره المدح والعزاء والوصف و لم يطرق الفخرو الهجاء .

– كثرة إستعمال الأمثال في كتاباته.

– يتصف أدبه بوصفين لازمين :

1. العفة المطلقة: فإنك لا تجد في شعره ولا نثره كلمة قبيحة.
2. كثرة الأقاصيص المنتشرة في كتاباته.

ب.شعره: ثلاثة دواوين:

- ✓ "**سقط الزند**": يشتمل على شعره أيام الشباب
- ✓ "**الدرعيات** ": ديوان صغير ، يشتمل أشعارا وصفت فيها الدرع خاصة ، و قد طبع بمصر ملحقا بـــ "سقط الزند "
- ✓ "**اللزوميات** ": وهي أكبر الدواوين الثلاثة وأجلها خطرا، نظمت كلها في الطور الثالث، فمثلت حياة عقله ووجدانه وخلقه أحسن تمثيل.

شرح أبو العلاء بعض الدواوين الشعرية منها :

- "ذكرى حبيب" فهو شرح لديوان أبي تمام فأحسن التورية والإختيار.
- "عبث الوليد" فهو إصلاح لديوان البحتري يقول أبو العلاء في آخر تأويل ظريف في اسم الكتاب : "أما العبث فظاهر ، أما الوليد فيجوز أن يراد به البحتري نفسه لأنه اسمه لأنه عبث بالكتاب "[1]

[1] – أبي العلاء المعري، رسالة الغفران، ص 172.

- "معجزة أحمد" : شرح لديوان المتنبي .

✓ **خصائص الكتابة الشعرية عند أبي العلاء:**

أول هذه الخصائص هي غموض الأغراض، وقد تقصده في قوله:"إنه وحشي الغريزة، إنسي الولادة "[1].

– فهذه الغريزة الوحشية يستحيل أن يصدر عنها إنسي الشعر، كما أن صاحبها غريب الأطوار.

– أما في الطور الثاني من حياته، فلم يبلغ الغموض من القوة ما بلغه في الطور الثالث، حيث كان شديد الحرص فيه على التقليد والإحتذاء وأن يتصل شعره بأهل عصره، ومن هنا ظهر روح المتنبي في أشعار هذا الطور.

– لقد أحدث فنا جديدا في النثر، لم يعرفه الناس من قبل، وهو الشعر الفلسفي الذي وضع فيه كتاب اللزوميات والتي تكاد تكون كتابا فلسفيا أقرب منها ديوانا شعريا.

– إمتاز شعره في طور الحداثة بكثرة المبالغة والتكلف، نقص متانة اللفظ ورصانة الأسلوب واتقان المعنى، ولا تكاد ترى فيه سذاجة الطفل وعبث الوليد

– أما شعره في الطور الثاني من حياته حين جاوز الخامسة والثلاثين، بدأنا نودع المبالغة في شعره، ونستقبل الاقتصاد في اللفظ والمعنى جميعا. ورأينا ظاهرة ينبسط ظلها على شعر الرجل وهي التجمل بالإصطلاحات العلمية[2].

– شعره في الطور الثالث: فصبغه بصبغة التشدد في كل شيء، وكلفه إلتزام ما لا يلزم في أعماله العقلية وحياته المادية على السواء[3].

– فإمتنع عن المبالغة وحرص على الصدق والتماس الإجادة والتزم القوافي الصعبة فيطيل فيها من غير أن يظهر عليه ملل أو سأم.

– يؤثر الألفاظ البدوية الجزلة والمعاني البدوية الفخمة.

---

[1] – المرجع نفسه، ص 176.

[2] – طه حسين، "تجديد ذكرى أبي العلاء"، ص 167.

[3] – المرجع نفسه، ص 168.

-كتب في فن المدح والفخر والوصف والرثاء والنسيب.

- ويكتب في الهجاء، ولا الخمر ولا الصيد ولا الغلمان، لأن حياة أبي العلاء لم تكن حياة لهو ولعب فيصف الخمر والغلمان.

– أما الحكمة فخصص لها أكثر من كتاب.

الفصل الثاني:

قراءة تأملية في

"رسالة الغفران"

المبحث الأول: الوصف الخارجي للكتاب

المبحث الثاني: الوصف الداخلي للكتاب

المبحث الأول : الوصف الخارجي للكتاب

1. محتوى الرسالة :

رسالة الغفران، لأبي العلاء المعري، قمة روائع الأدب العربي الخالدة فضلا عما تحتله من مكانة متميزة في الأدب الإنساني، كتبها المعري عام424هـ حين كان في الستين من عمره، أي حين بلغ أوج نضجه الفكري و الفنيّ[1].

-تستمد هذه الرائعة مكانتها من الخيال الذي يهيمن على بنيتها الفنية ولغتها المنتقاة بعناية فائقة.

استهل رسالته بإهداء ثم ترجمة إبن القارح وترجمة لأبي العلاء المعري ثم يواصل التفصيل في رحلته المقسمة إلى جزأين .

- عدد صفحاتها 200 صفحة ، مع فهرسة للمفردات الصعبة، لحياة الأشخاص، الغير معروفين، والشعراء والأدباء.

- حقق هذا الكتاب الدكتور كامل الكيلاني، وطبعت بمؤسسة الهنداوي عام 2012.

كتب المعري رسالته في جزأين :

1- الجزء الأول : عنونه بالغفران، إستهله ببيتين من الشعر ، بقلم كامل الكيلاني محقق الكتاب، ليعرج بترجمة لإبن القارح نقلا من رسالة -ابن القارح - ، ثم كتب كلمة وجيزة عن حياة أبو العلاء المعري.

2 – الجزء الثاني : هو ردّ على رسالة ابن القارح وإفتتحها بعبارة: "فهمت قوله" في هذا القسم يعري أبو العلاء صاحبه تعرية كاملة، فيسخر من توبته وزهده ولا يترك لصاحبه فرصة للإفاقة فيعالجه بسهم آخر أكثر نفاذاً في ذكره لأبيات الطواف[2].

[1] – إبن شهيد الأندلسي، "رسالة التوابع والزوابع" تحقيق بطرس البستاني.الياقوتة الحمراء للبرمجيات ص96

[2] – "رسالة الغفران" ، ص 539.

2. مصادر ومراجع:

-اعتمد أبو العلاء المعري على مصادر مختلفة، أسست فلسفته العلائية، أهمها الحياة نفسها التي ذاق مرارتها منذ صباه، درس حياة قومه، نقد الكثير من الأخلاق والعادات ومن الأطوار والآداب التي لم ترقه.

-استوحى من الفلسفة اليونانية والهندية، التي عرفها في بغداد خاصة في مكتبة "سابور بن أرشدير" والتي أنشأها هارون الرشيد وسماها هو "بدار العلم ".

- قرأ الكثير من كتب الفلسفة والحكمة ودواوين الأدب واللغة، وإشترك في المجامع العلمية والفلسفية بدار عبد السلام البصري. فكان تأثره واضحا بالحياة العقلية والخلقية المنتشرة في بغداد آنذاك.

- إضافة إلى الفلسفة الفارسية على عهد العباسيين، بفضل إبن المقفع وبني نوبخت من خلال ترجمتهم للكتب والقصص الفارسية إلى العربية.

- شغفه بكتب الدّين على إختلاف دياناتها من الإسلام إلى اليهودية والنصرانية والمجوسية، وناقش هذه الديانات.

- لم تنجب الحضارة العربية في العصور الخوالي من يفوق أبا العلاء المعري (363-449ه) في أصالة الرأي، ونفاذ البصيرة وصدق النظر وروعة الخيال، وإحكام القول، وسلامة التعبير والإحاطة بالعربية وعلومها. فهو رهين المحبوسين، فقد أربت مصادر دراسته على 350 مصدراً[1].

[1] – محمد سليم الجندي، "الجامع في أخبار أبي العلاء المعري وآثاره"، الجزء الأول، علق عليه عبد الهادي الهاشمي، مطبوعات المجمع العلمي بدمشق 1384ه-1962م، ص 417.

المبحث الثاني : الوصف الداخلي للكتاب

1. دوافع الكتابة:

-أملى أبو العلاء هذه الرسالة الجوابيّة وقد مضى على عزلته قرابة ربع قرن، سنة 1032م، وكانت شهرته قد طبقت الآفاق العربية، وراسله الكثيرون مستفسرين خصائص هذا الفكر الجديد والشاعرية الفذة ، ومن بينهم الأديب الحلبي " إبن القارح" وهو عليّ بن منصور طالب الملقب "بدوخلة"، كان شيخا من شيوخ الأدب، راوية للأخبار، حافظًا للغة والأشعار، قئومًا بالنحو[1].

-هي رسالة ابن قارح كتبها لأبي العلاء، دون سابق صلة بينهما، ويذكر أن واحدا من كتاب "نصر الدولة "، صاحب " ميا فارقين" و "ديار بكر"، حمّله رسالة لأبي العلاء، فسرقت منه، فكتب هذه الرسالة يشكو إلى أبي العلاء أموره ، ويبث شقوته على حد قوله[2].

- يتعرض ابن القارح في رسالته إلى أمور الزنادقة فيذكر أخبارهم ويفند نحلهم ومعتقداتهم، وهو يلمح في ثنايا حديثه للتعريض بأبي العلاء، والغمز في معتقده وبعدِّهِ واحدا منهم، فلم تكن هذه المرامي لتغيب عن فطنة أبي العلاء المعري، وما كان ينطلي عليه هذا الأسلوب[3] المخادع المخاتل، ومن هنا كان الرد المباشر "برسالة الغفران" جعله يصعد إلى السماء ويرى نفسه كيف جرت وتجري الأحكام الإلهية، ولكثرة ما ورد من أسماء الغفران، ومشتقاته سميت بذلك –رسالة الغفران–.

- إن الفكرة الرئيسية التي دفعته إلى إنشائها – هي مناقشة من فازو بالمغفرة ومن حرموها في الدار الآخرة، لقد كان يكثر من سؤال من يصادفه في الجنة: بم غفر لك؟، كما كان يكثر من سؤال من يصادفه في النار: لم يغفر لك قولك ؟...إلخ.

- لقد إتضح ميله الشديد إلى استفسار من ماتوا عما لقوه من أصناف النعيم أو العذاب ليظفر بإجابة شافية له، ويضع حداً لشكوكه وحيرته. إن أبا العلاء لما يئس من تلك الأماني الباطلة لجأ

[1] – الحموي أبو عبد الله ياقوت، "معجم الأدباء"،ج15 ص83، – إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب، أحمد رفاعي، ط1 القاهرة.

[2] – "رسالة الغفران" ، ص 56.

[3] – د.فوزي محمد أمين، "رسالة الغفران بين التلميح والتصريح"، كلية الآداب –جامعة إسكندرية– دار المعرفة 1993، ص 25.

إلى الخيال –ما أوسع عالمه– إذ ضاق بالإنسان عالم الحقائق، فأودع هذه الرسالة خلاصة أفكاره، وهي أدق و أبرع صورة شعرية قرأناها.

2. مضمون رسالة الغفران:

– رسالة الغفران أهم آثار أبي العلاء : لمضمونها اللغوي والأدبي والشعري والإخباري عن أحوال العصر ورجاله ولاسيما من الملاحدة والمجان والزنادقة من حولية وصوفية متطرفة وشعراء فسقة، وقد بلغ حجم هاتين الرسالتين أضعاف رسالة ابن القارح تقريبا، لقد ساق رسالته في جزأين :

– إستهل الجزء الأول بقوله :

لو جاء من أهل البلى مُخبر سألت عن قوم و أرّخت

هل فاز بالجنة عمالها ؟ و هل ثوى في النار نُوبَخْتُ

** أبو العلاء المعري **

– إن الفكرة الأساسية التي يدور في فلكها هذا الجزء ، هي "جنة الغفران"، كيف ذلك؟

– نخطئ كثيرا إذا تصورنا أن "جنة الغفران" هي الجنة التي أعدها الله للمتقين، إنما هي جنة علائية ظاهرها النعيم وباطنها العذاب، جنة بناها أبو العلاء، ونسج مشاهدها ومواقفها بتؤده ليقفنا على مباذل ابن القارح وما إتسم به من شهوانية وإسراف في بلاط الفواطم في القاهرة، فهو المثير الكامن والمادة المرجعية لهذا التصوير الرائع.

– فمن هو ابن القارح ؟

هو علي بن منصور الحلبي، لقبه دوخلة، وكنيته أبو الحسن، يعرف بابن القارح، كان مولده بحلب سنة 351ه، و لم يتزوج، كان يدرس عند أبي عبد الله بن خالويه –رحمه الله– ثم إنتقل إلى دار أبي الحسن المغربي، سافر إلى بغداد بعد موت أستاذه –ابن خالويه– ونزل عند أبي علي الفارسي، واختلف مع علمائه مثل: أبو سعيد السيرافي، علي بن عيسى الرماني، أبي العبيد المرزباني. ثم سافر إلى مصر وإلتقى أبا الحسن المغربي ولزمه لزوم الظل، حتى حضر لحظة إغتيال عائلة المغربي،

رحل إلى دمشق، فدخل أنطاكية. فأقام عند سعد الدولة حتى ساءت علاقته بالحاكم أبو القاسم، وراح يهجوه هجاءً لاذعاً.

– يأخذنا الفضول لمعرفة مضمون رسالة ابن القارح لأبي العلاء المعري، فما هو؟

– تحدث ابن القارح عن الزنادقة وأخبارهم ومعتقداتهم وهو يهمس بها إلى معتقد أبي العلاء ويعتبره واحدا منهم، ثم يمضي مظهراً ورعه و إقلاعه عن الخمر وتوبته من حياته اللاهية في مصر ثم يوجه سهامه لأبي العلاء. ذكر الموت والتوبة، فيحكي قصة رجل بغدادي لا يتورع عن ركوب مخزية، و يدعو الناس إلى التوبة حتى عاجله الموت قبل التوبة[1].

– انتقل للحديث عن علاقته بآل المغربي في مصر، وكيف حدثت الفجوة بينه وبين "الوزير المغربي" ووضح سر هجائه له.

– فبدأ بذكر فضل الوالد "الحسن المغربي" في حلب وفضائله عليه، حتى ذكر طموح الابن الذي أدى إلى هلاك كل عائلته تحت حد السيف، في القرن الرابع الهجري مثلما حدث لنكبة البرامكة. فلم ينجو منهم إلا الوزير المغربي الذي فر متخفيا ولجأ إلى آل الجراح بالرملة.

– لقد حدث إنشقاق في البيت الفاطمي، فطلب المساعدة من ابن القارح، فغدر به، وتنكر له كما تنكر له الزمان وهذا هو خلقه.

– لما قرأ المعري هذه الرسالة، غضب من سهام ابن القارح الموجهة إليه، ومن خسّته ووضاعته اتجاه من أحسنوا إليه –آل المغربيّ– فجعله المحرك الأساسي في رحلته ولقبه بالشيخ وارتحل معه إلى الجنة والنار والمحشر في قالب من السخرية والإيماء والإلغاز الملغم.

– يتخيل فيه ابن القارح، وقد غُفر له بما أظهر من توبة فدخل جنة الفردوس وصف شجرها، والولدان المخلدّون، وأنهارها الكوثر واللبن والرحيق المختوم، وأنهار خمرية تلعب فيها أسماك، ليتوجه راكبا نجيبا من نجب الجنة، خُلق من ياقوت وذُرّ، فيسير ويأخذ معه شيء من طعام الخلود.

[1] – د.فوزي محمد أمين، "رسالة الغفران بين التلميح والتصريح"، ص 13.

– ليلتقي بالأعشى ويسرد له حادثة غفرانه، فأُدخِل الجنة على أن لا يشرب فيها خمراً، أما زهير فوجده في رياض الجنة يعيش في إحدى قصورها ليجده شابا كالزهرة الجنية وعبيد دخل الجنة بسبب بيت قاله :

من يسأل الناس يحرموه و سائل الله لا يخيب

– يواصل ابن القارح سيره، ليجد الهذليّ والنابغتين، ولبيد ويطرح عليهم السؤال ذاته: فما بالك في مغفرة ربك؟ فتختلف إجابات كل واحد منهم.

– يقفز أبو العلاء قفزة رابعة، فيعقد مجلس منادمة لإبن القارح فيه عديّ بن زيد وفيه النابغتين — نابغة بني جعدة، ونابغة بني ذبيان. ويلهب ابن القارح بألسنته من النار وبحمم من الإزدراء والسخرية فلا تكاد تسمع حسيس قضية آل المغربي، فترى سخط أبي العلاء المكظوم، يتفجر صورا غاضبة، أفلا ترى هذا النابح الذي وقف على أبواب الفواطم يتلقف ما يلقون إليه من فتات العيش، فينكر لهم.

– يتحدث عن النابغة الجعدي الذي يتصرف بحماقة مع الأعشى ويقذفه بكوز كان بيده[1].

– فالسؤال : لماذا اختار النابغة لهذا الدور؟ وهنا تستدعي منا تفهماً لكيفية توظيف أبي العلاء للتراث، فهو حينما يختار الشخصية التراثية يكون اختياره بمثابة إشارة أو إحالة لهذه الشخصية الهجاءة التي تغلب كلّ من لاقاها[2].

– يواصل ابن القارح المسير ليجد عوران قيس وناقشه في قصيدته التي على الزاي وكلمته التي على الجيم.

– قيس: " لقد شغلتني عنهما النعيم الدائم، فما ذكر منهما بيتا واحدا".

– راح ابن القارح يسرد حكايته في الجنة، وحديثه مع رضوان خازن الجنان وكيف نظم له الأبيات دون جدوى، فطال الأمد به واشتد الضمأ والحرّ وهو رجل مهياف لا يستطيع الصبر،

[1] – "رسالة الغفران" ، ص 231.

[2] – د.فوزي محمد أمين، "رسالة الغفران بين التلميح والتصريح"، ص 35.

حاملا صك التوبة، فلم يأذن له بالعبور. لينصر إلى خازن آخر ويدعى له زفر، فلا يستجيب له، فإذا به يجد رجلا عليه نور يتلألأ قيل له: أنه حمزة بن عبد المطلب، فناداه: يا سيّد الشهداء، يا عم رسول الله "صلى الله عليه وسلم"، وقص عليه مطلبه، فأرسله إلى علي بن أبي طالب لينظر في شأنه: فقبل صك توبته وأدخل الحوض وهناك إلتقى بفاطمة وتحدث مع النبي "صلى الله عليه وسلم"، وعبر الصراط، ودخل الجنة وإلتقى بسيدنا إبراهيم عليه السلام – وحضر مأدبة في الجنة وتسّمع لحديث الجرادتين ورقص الحور ووصف حديثها وحدائقها.

– و يبدو له أن يطلع إلى أهل النار، فيركب دواب الجنة، فإذا هو بمدائن ليست كمدائن الجنة وهي ذات أوحال فيقول لبعض الملائكة: "ما هذه يا عبد الله؟" فيقول: هذه جنة العفاريت، فيعرج عليهم، فيسمع أشعارهم وقصصهم ولغتهم فيلتقي بأبي هدرش[1] ويوضح له ألسنتهم ويفصّل له في حادثة الرجم ثم ودعه.

– إلتقى بإمرأة في أقصى الجنة قريبة من المطلع إلى النار، إنها الخنساء، أحبت أن تنظر إلى صخر، فرأته كالجبل الشامخ والنار تضطرم في رأسه وذكرها ابن القارح بقولها: لقد صح مزعمك في قولك:

إنّ صخراً لتأتم الهداة به كأنّه علم في رأسه نار

– وتحدث بعد ذلك مع إبليس وبشار وعنترة عن أهوال العذاب وناقش مع امرئ القيس التسميط والمنسوب إليه، فيرد عليه: "و الله ما سمعت هذا قط، وإن الكذب لكثير، أحسب هذا لبعض الشعراء للإسلام، ولقد ظلمني وأساء إليّ". تحدث مع عمرو بن كلثوم، طرفة، الحارث اليشكري الأخطل مهلهل، وعدّ له سبب هذه التسمية لأنّه أوّل من هلهل الشعر أي رقرقه؟ الشنفرى وتأبط شراً و سأله عن نكاح الغيلان.

[1] – جني من الجان المؤمنين، آمن بعد ماض طويل في المعصية، فأدخل جنة العفاريت، وهي جنة ليس عليها النور الشعشعاشي.

– رجع ابن القارح إلى الفردوس لقي آدم عليه السلام وسأله، لقد رويّ لناعنك شعرا، فهل هذا صحيح؟، نفاه لأن لسانه سرياني فما نطق هذا النظم ولا نطق في عصري. ثم تحدث مع ذات الصفا والحوريات والرجاز ويصف نعيم الخلد.

أما الجزء الثاني من الرسالة كان رداً واضحا وصريحاً على رسالة ابن القارح إستهلها ببيت شعري قال فيه:

ما كان في هذه الدنيا بنو زمن إلا وعندي من أخباهم طرف

– فهمت قوله: "جعلني الله فراءه، لا يذهب به إلى النفاق" وهذه غريزة خصّ بها الشيخ – ابن القارح– دون غيره وتعايش العالم بخداع، وأضحوا من الكذب في ابداع"[1] كم من شبل نافق أسداً وأضمر له غلا وحسداً، وضيغم نقم على فرهود وود له دفنه ..."[2]

– استهلها بشرح بعض أمثال العرب، ولماذا أهل الأدب يشكون الغير في كلّ جيل، ويدرس بعض الظواهر عند الشعراء، كولع أبو الطيب المتنبي بالتصغير في جلّ أشعاره، تشيّع دعبل بن علي، التأله عند أبي نواس، ثم يعاود الحديث عن سذاجة العرب وأسبابها. مناقشته لرسالة آدم حول الإلحاد في بني البشر على مرّ الدهور. ليجد المعبر أمامه فغاص يشرح الزندقة والزنادقة وعدد بعضهم مثل بشار بن برد، أبو نواس، صالح بن عبد القدوس، الصناديقي، ربيعة بن أمية بن خلف الجحمي، القرامطة، أما العلوي البصري رويت له ابيات تدل على تأله، فصّل في تفكيرهم وأن علياً عليه السلام– يعلم الغيب، فما يعلم ما في غداً إلا الله.

– مذهب الحلول، فكرة التناسخ في الهند و ذكر أمثلة منهم الحلاج، وابن هانئ الأندلسي، ابن ابي عون، عبد الله بن ميمون القداح، الدعوة الربوبية وهو رجل من البصرة.

– يعاكس الاتجاه إلى بيت النبوة للحديث عن زواج النبي صلى الله عليه الصلاة والسلام بخديجة، وتوبته وأهم الزهاد مثل الفضيل بن عياض، عمر بن عبد العزيز، عمر بن الخطاب، أحمد بن حنبل

[1] – "رسالة الغفران" ، الجزء 2 ص 102.

[2] – المرجع نفسه ص103.

وذكر قصة المعتصم وإبراهيم المهدي الذي أعفاه المعتصم من الغناء لينذر قد عاهد الله عليه. وفي آخر الرسالة إستعرض بعض آرائه في التناسخ والطيرة والتشائم وذكر آراء الشيعة المضحكة في علي بن أبي طالب و أهمها:

- طائفة تقول أن الله أرسل جبريل إلى عليّ ، فذهب إلى محمد خطأ لشدة الشبه بينهما. وهي الفرقة التي تقول : "إلعنوا صاحب الريش " هو جبريل.

- زعموا أن عليا هو الله وشتموا محمداً، وأن صوت البرق والرعد هو صوته ومن سمعه يقول: " عليك السلام يا أمير المؤمنين ". و هذا إلحاد و شرك بالله.

- وختمها برأيه في الخمر لأنه أعرف الناس بمزاياها وإذ لم يكن قد ذاق طعمها، لأنه قرأ كتب الجاهليين وإسلاميين و عباسيين و درسها فأصبح أعلم الناس بها.[1]

3. القيمة الفنية للرسالة:

- سكنت "رسالة الغفران" قلوب الناس وعقولهم، وأضحت قلما سائلا على مرّ الأجيال والقرون. فهي المتنفس الرحب لمشاعر مكبوتة عاشت في أعماق هذا الرجل الزاهد الذي تغلب على طمع الدنيا وملذاتها، أطلق العنان لخياله فأخذنا معه في رحلة عجيبة من أحلام يقظته، إلى جنة عرضها السماوات والأرض تعج بالحركة وتصطخب بالحياة، كثر فيها الحراك والخصومة، اللهو والخمر، نزهات وحور عين ... هذا مشهد قابع في سرداب المعرة المظلم، يجسد اللذة المفقودة ويداعب الجمال ويصحح المفاهيم والقيم الأدبية والدينية.

- يعبث الرجل- أبو العلاء بعقولنا – أحيانا- ويختبر مقدرتنا اللغوية والنقدية فنجنح إلى القواميس لفك ألغازه ومتاهاته وهذا من غرائب فكر المعري و أسلوبه.

[1] - "رسالة الغفران" ، ص 172.

أ.أسلوب الكتابة:

– يتميز أبو العلاء المعري بأسلوب خاص في الكتابة ميّزه عن غيره في سداد الرأي ونفاذ البصيرة وإحكام القول، وسلامة التعبير وإحاطته العالية بالعربية وعلومها، نظرا لإتساع ثقافته وتشبع مشاربها فأخرج لنا أسلوباً عجيباً كالجرس رنان في النفوس والأسماع.

– وظف المعري في "رسالة الغفران" التصوير الحسي تشوبها شطحات من الخيال والسخرية البالغة والدعاب المضحك والحوار الشيق والوصف والتمثيل والروح الأبوية والمعاني التأملية[1] حتى نسينا أحيانا أنفسنا ونحن نشاهد مسرحيّة على الركح أبطالها أُدباء ولغويين ومن كلّ العصور التي مرّت: حبّه للتحدي وبراعته اللغوية وكثافة المعرفة وذكاءه الحاد في اصلاح أوضاع حقيقية، عمد الناس إلى قلب موازينها، فضح كلّ ذلك بالسخرية الجارحة و النقد اللاذع.

– تميز الأديب الموهوب الذي يبعث الحياة من جديد للتاريخ القديم يُخرجه حياً مشّعا مشحونا بخصائص علائية من حيث التصوير والفهم والذوق، بأوصاف عدة في أسلوبه :

– تحرره من العقدة اللغوية، حتى الحروف والمقاطع والمفردات والعبارات والأسباب العروضية والروي والقافية لها في فمه مذاق خاص يلكوها ويتلذذ بها كسُكَّرة تحت عرق لسانه، لأنها سُكَّرة لا تذوب نهائيا بل تمدّه بالحلاوة مدى الحياة[2].

– أكثر من غريب الألفاظ ونذرة الصّيغ، وتوظيفه لأسماء الحيوان والنبات والأسماء الفلكية، الجغرافية، التاريخية وأسماء الأماكن والبقاع والبلدان والكني ، وبعض الألفاظ الأعجمية.

– متكلف في الصناعية اللفظية من جناس وطباق وتورية وتسجيع (النثر)، وولعه بالصناعة المعنوية[3].

– قدرته وتفننه في تصغير المعنى الكبير وصبّه في قالب جديد مصقول واف بالمقصود الذي ابتدعه لنفسه.

---

[1] – الدكتور مصطفى غالب، "أبو العلاء المعري مبصر بين العميان" ص 127.

[2] – المرجع نفسه، ص 128.

[3] – عمر فروخ، "أبو العلاء المعري الشاعر الحكيم" دار الشروق الجديد بيروت– مكتبة الفكر الجديد، طبعة 1 1960، ص 31.

– بلورة معاني عالية انتزعت من أشياء قريبة لا يكترث بها غيره وتوظيفها في أغراض نافعة كالحكمة والتشبيه كوصف العين والجفن والنجم والأذن والفم والريق والقلب والشيب والرجل... وانتزاعه الحكمة من أتفه شيء[1].

– أسلوبه يمتاز بالتحذلق التعبيري واللغوي وهو آفة بقدر ما هو ميزة – وصفه مصطفى غالب – فهو يجعل فيها نوعاً من الغموض فتصبح أحجية مطلسمة تستدعي من القارئ فتح القواميس باستمرار.

– قدرته على التهكم والنقد معاً معتمدا على الذاكرة العجيبة في استيعاب الحوادث بدقائقها وتفصيلاتها.

– فهو يتمتع بكل أدوات الناقد من ذوق وقدرة على المقارنة والحكم ومعرفة بالتراث النقدي منذ الجاهلية حتى عصره، وبكل دقائق اللغة والنحو والصرف والشعر والنثر والعروض بحوراً وزحافات وتقفية حاضرة في ذاكرته[2]. أمّا التهكم عنده ليس من باب الهزل والتعريض، بل من الإصابة والمقارنة بين الصحيح وغير الصحيح والمعقول وغير المعقول، وتهكمه يبعث على التفكير لا على الضحك .

– إن الحقيقة المرّة التي نخاف مواجهة أنفسنا بها راح يسوقها في قالب شعري أو نثري يعتمد على محك العقل ويقيسها بالواقع أو يعارضها بأمثالها أو أشباهها.

– يتمتع بأسلوب حرّ وجرئ، يُحكم العقل دائماً حتى في الأمور التي ظن بعضهم أنها لا تخضع للعقل ولهذاإرتفع فوق الناس جميعا.

– أسلوب واقعيّ، إجتماعيّ لا يميل إلى الخيال ولا يأخذ بالظن، بل يحاربهما وبهذا نقول أن تفكيره مادي أكثر.

[1] – محمد سليم الجندي، "الجامع في أخبار أبو العلاء المعري وآثاره" ص 6و7.

[2] – خالد محمد عسول المزيد، "النقد العروضي" كلية الحصن الجامعية قسم العلوم الإنسانية جامعة البلقان، ص 14 مقال.1.

ب.جهود المعري اللغوية:

– ساهمت الجهود اللغوية الموجودة في رسالة الغفران، النقد العربي بزاد خصب ومادة وفيرة وكان له السبق في ذلك، لأنه كان يُسخر العقل في كل شيئ ويعوّل عليه، جريئا في إبداء آرائه الحرة، لا يطيق السُكوت على ما لا يُرضيه ولا يستطيع التجاهل فيما يعلمه أو يتغابى فيما يفهمه.

– وقد اعترف بذلك النقاد المحدثون وعلى رأسهم طه حسين الذي تفنن في دراسته، وتنبّه إلى قضية اللغة عنده، واهتمامه بها فيقول: "العلوم اللغوية هي أظهر الفنون التي درسها أبو العلاء، فهي التي أمدت شعره ونثره بالغريب واصطلاحات العلم وهي التي أنفق أيام عزلته في درسها للناس"[1]

– و قد نهج في نقده أساليب تشوق القارئ والمتابع لنقده وهي:

1) الثناء على بعض الشعراء: أعجب المعري بقصيدته علقمة في وصف النساء حيث خاطبه قائلا: "لو شفعت لأحد أبيات صادقة ليس فيها ذكر الله سبحانه، لشفعت لك أبياتك في وصف النساء "[2].

فإن تسألوني بالنّساء فإنني بصيرٌ بأدوات النّساء طبيب

إذا شاب رأسُ المَرء أو قلّ ماله فليس له من وُدّهن نَصيب

يُردن ثراء المال حيث عَلِمنهُ وشَرخُ الشباب عندهنّ عجيب[3]

– أبيات تصف النساء وولعهن للمال والشباب ومظاهر الحياة، فهي تهتم بالشكل وتنصرف عن العناصر المادية في الرجل الداخلية والمعنوية في عقله، وعلمه وحكمته.

2) شرح الشعر : إتبع أبو العلاء المعري شرح الأبيات ومعانيها وإبداء الرأي في بعضها ومن ذلك قول الشاعر :

[1] – طه حسين "تجديد ذكرى أب العلاء"، ص 125.

[2] – الدكتور خالد محمود عسور المزيد، د.رضوان محمد سعيد عجاج يزولي،"النقد اللغوي في شعر رسالة الغفران لأبي العلاء المعري" ، حوليات جامعة قالمة للغات و الآداب، العدد 15 جوان 2016.

[3] – أبو العلاء المعري، "رسالة الغفران"ص120.

أ. لبيد بن ربيعة :

تراك أمكنة إذا لم أرضها أو يرتبط بعض النفوس حمائها

هل أردت "ببعض" معنى كلّ؟ فيقول لبيد: "كلا، إنّما أردت نفسي، وهذا كما تقول للرجل: "إذا ذهب مالك، أعطاك بعض الناس مالاً. وأنت تعني نفسك في الحقيقة وظاهر الكلام واقع على كلّ إنسان".

ب.تميم بن ابي مقبل :

يا دار سلمى خلاء لا أكلِّفُها إلا المرانة حتى تسأَمُ الدّنيا

ما أردت بالمرانة: فقد قيل: إنك أردت إسم امرأة، وقيل: هي اسم ناقة، وقيل: العادة. فيقول تميم: "والله ما دخلت من باب الفردوس ومعي كلمة من الشعر ولا الرجز وذلك أنّي حُوسبت حسابا شديدا"[1].

من خلال شرح المعري للأبيات ذهب إلى اتساع اللغة بإغنائها بجملة من الألفاظ والتراكيب التي لا تخرج عن مذاهب العرب، فيجنح إلى الغريب الحوشيّ وينشره مقروناً بالشرح والتفسير قاصداً غرضا تعليمياً ويلتزم الاستقصاء والإحاطة خائفا من الإدلاء برأيه[2].

ج. استحسان الألفاظ :

يستحسن استخدام الشاعر لبعض الالفاظ استخداما جيّدا يفوق بقية الشعراء، فيحبّ منه هذا الصنيع ويوافق منهجه العام في التمسك بالفصيح وترك العاميّ الرديء والحث على توسع اللغة. فمثلا إعجابه بلفظ "المحب" على ندرته في كلامهم وتفضيل هذا اللفظ على المحبوب على شيوعه وكثرة استعماله، جاء ذلك عندما خاطب عنترة بقوله : إني لا أتمثل قولك :

لقد نَزلتَ فلا تظُنِي غيره منِّي بِمنزلة المُحبِّ المُكرَمِ

[1] – أبو العلاء المعري، "رسالة الغفران"ص130.

[2] – الدكتور خالد محمود عسور المزيد، د.رضوان محمد سعيد عجاج يزولي،"النقد اللغوي في شعر رسالة الغفران لأبي العلاء المعري".

لقد وُفِقتَ في قولك "المُحِبِّ"، لأنك جئت باللفظ على ما يحب في (أَحبَبتُ) وعامة الشعراء يقولون : أَحبَبتُ، فإذا صاروا إلى المفعول قالوا: مَحبوبٌ[1].

4. أهمية الرسالة :

– أجمع الدارسون على أهمية رسالة الغفران في الأدب العربي والعالمي قديماً وحديثاً. فهناك من عدّها عمل سرديّ خياليّ، إستقى المعري مادته من القرآن الكريم والمأثورات الدينية ومعجزة الإسراء والمعراج ليستوضح كثيرا من القضايا الأدبية والنحوية والنقدية واللغوية ووصفها المؤرخون القدامى بأنها من الرسائل الطوال، التي تجري مجرى الكتب المصنفة، كما عدّوها من الرسائل الإخوانية، أما المحدثون مثل طه حسين[2]، وصفها بالقصة الخيالية، ووصفتها عائشة عبد الرحمن بأنها مسرحية[3] وقسمتها إلى مشاهد تمثيلية، والبعض وصفها بالظاهرة الدرامّية الملحمية وسار سليمان البستاني في مقدمة كتابه ليسميها بالملحمة[4].

– ذهب الكاتب لويس عوض في كتابة على (هامش الغفران)، إذ يضع رسالة الغفران في المرتبة الثانية بعد قصة المعراج من حيث تأثيرها في الكوميديا الإلهي.

1) في الشرق: أهم شخصية عاصرت أبا العلاء المعري و تأثرت به هو :

- **عمر الخيام ورباعيته:** كان الخيام عالماً في الرياضيات والفلك، لم يكن متيسراً للمعري أن يطمح إليه، محباً للحياة ويدعو النّاس لذلك بينما المعري كان منكمشا على نفسه يهرب من الحياة الاجتماعية، تأثر الخيام بشعر المعري وخاصة برسالة الغفران، فترسم معانيها، ثم سبك بعض هذه المعاني في قوالب المعري، ليرتسم في فروع معانيه و سياقات تراكيبه[5].

[1] – أبو العلاء المعري، "رسالة الغفران".ص135

[2] – طه حسين، "تجديد ذكرى أب العلاء".ص130

[3] – أبو العلاء المعري، "رسالة الغفران"، تحقيق عائشة عبد الرحمن ط4.ص54

[4] – حكمة علي الأوسي، "التأثير الإسلامي في كوميديا دانتي" مجمع اللغة الأردني، مجلة 23 العدد 57 عمان 199.

[5] – عمر فروخ، "أبو العلاء المعري الشاعر الحكيم"، ص 168.

2) في الغرب :

- **دانتي اليغيري و الكوميديا الإلاهية :** الكوميديا الإلاهية (1318م) عمل خالد لصاحبه الإيطالي دانتي (1265–1321م) طبع عام 1555ه ، يتكون الكتاب من ثلاثة أقسام: الجحيم والمطهر والفردوس وكل قسم مكون من: ثلاثة وثلاثين نشيد، مع مقدمة "الجحيم" في نشيد واحد، فتصبح كلّها مئة نشيد وكلّ بيت من النشيد يتكون من أحد عشر مقطعا.

إنّه تصوير رمزي خيالي، يسعى الإنسان إلى خالقه طلباً للتوبة والمغفرة والإخلاص.

لقد أجمع الكثيرون على أنّ دانتي سبق له الاطلاع وقراءة رسالة الغفران، فتأثر بها ونسج على منوالها وهذا ما أكد المستشرقون أنفسهم وحتى العرب مثل محمد غنيمي هلال إذ يقول:"تأثر دانتي في الكوميديا الإلاهية بمصادر عربية"[1] أما عبد الرحمان بدوي: في كتابه "دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي" :"إن دانتي كان مطلعا بشكل واسع على الثقافة الإسلامية و لم يكن منجزه بما فيه من تشابهات في القصص والتفاصيل مع الثقافة الإسلامية مجرد توارد خواطر، وتشابه قوالب"[2].[3]

- **أما رنيه كينون:** يرى أن وصف الكوميديا للجحيم و الجنة كان متفقا مع ما جاء في النصوص الإسلامية و خالفا لما جاء بالمسيحية من مفاهيم[4].
- **جون ملتن و الفردوس المفقود:** لقد تأثر ملتن برسالة الغفران، فركب قصيدتين كبيرتين: "الفردوس المفقود" تدور أحداثه حول الفكرة الدينية العامة التي تقول أن الله لما خلق الإنسان وضعه في الجنة، أغواه الشيطان فعصى الله، فأنزله إلى الأرض وهكذا فقد الفردوس.

---

[1] – محمد غنيمي هلال، "الأدب المقارن"، ط و، دار العودة بيروت 1983م، ص152.

[2] – عبد الرحمان بدوي"دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي " ط3 دار القلم بيروت 1979م ص 6-7.

[3] – سناء شغلاني، "مقاربة بين الثقافة الإسلامية والكوميديا الإلهية "، مجلة عود العدد 2008 ص6.

[4] – د.إيمان محمد أحمد ربيع أستاذة مساعدة، "بين رسالة الغفران والكوميديا الإلهية "، جامعة جرش كلية الآداب قسم لغة عربية، مجلة السياق المجلد الثالث– العدد الثاني ديسمبر 1980ص 17.

أما قصيدة الفردوس الموجود: هو نفسه الموجود برسالة الغفران من حيث الوصف فهو تتمة للفردوس المفقود فراح يبسط النظرة النصرانية التي تقول أن الله أشفق على الإنسان، فأرسل إبنه ليطّهر أبناء الإنسان من خطاياهم و بهذا وجد الفردوس من جديد.

5. عناصر الحداثة في بناء رسالة الغفران :

– رسالة الغفران رائعة من روائع الأدب العربي الخالدة، استمدت مكانتها من بنائها الفريد في عصره وفي عصور تلته، لغرابة موضوعها المبتكر من الخيال الذي يهيمن على بنيتها الفنية، ولغتها المنتقاة بعناية فائقة، ومن الآراء والرؤى والمحاور الأدبية والنقدية واللغوية والمعرفية.

– استطاع المعري أن يرتفع برسالته من الأسطورة إلى مستوى الإحتمال والإمكان ، فضمنها إشارات و إيماءات جعلتها واقعا معاشا في ثوب أسطورة أو اسطورة في ثوب واقع[1]. فهي ليست بدعة فنية و لا بالتخيل المبتكر.

– كما جاء عند العقاد – وإنما خيال تصويري حسي الديناميكي حي ومتحرك تسيره الروح العلائية الساخرة المميزة والرؤية النافذة إلى صميم الأشياء والأشخاص. إنّه حقاً تصوير للجنة التي يشتهيها المؤمنين — إدوارد اميل البستاني–[2].

– اقترب أبو العلاء كثيرا في أسلوب كتابه وتقدير وشعره مما نسميه اليوم معاصرة أو حداثة تخطت قوة حضور مبثوثة في شذراته وقصائده التأملية الحرة إلى أن وصلت إلى حد الأحاجي والطلاسم في غيث كلامي لا طائل تحته.

– امتاز بالصدق و العفوية و توتر الصورة و ضبابية الألوان الصادرة عن انسان أعمى لكن قلبه مبصر بدقائق الحياة وخباياها ، وهنا تكمن المأساة هو الإحساس بالغربة والضياع والعزلة. هذا هو القاسم المشترك بينه وبين المحدثين من الشعراء والأدباء.

[1] – الدكتور مصطفى غالب، " أبو العلاء المعري مبصر بين عميان "، ص129.

[2] – المرجع نفسه.

– أما القاسم الثاني هو رفضه لكل الأعراف والعلائق البشرية وهو موقف يسلخه من عصره ليقذف به إلى عصور الحديثة، عصور التأمل والضياع والرفض ...

– دخوله إلى مملكة العقل والإحتماء به وريادته للآفاق وموضوعاته الشعرية، لم يتطلع إليها شاعر من شعراء عصره.

– لقد غاص الدارسون في البنية الرسالة وحاولوا الكشف عن خيوطها العنكبوتية ليتوصلوا أنها نسجت على منوال القصة السردية، التي بنى نصها المعري على حبكة سواء في تفصيله لفصول الرحلة (الجنة–المحشر–النار) أو تفصيل الرحلة في الجنة والنار، إذ بنيت أحداثها تصاعدياً لتبرز القصة متكاملة. تنوعت الأساليب فيها من أسلوب سرد غير متجانس (أسلوب السرد الحرّ غير المباشر) والخطاب المباشر الداخلي، مع تدخل السارد الخارجي (الراوي العليم) إلى أسلوب الاسترجاع (الفلاش باك) كل هذه الأسباب والتفاصيل عُرفت حديثا بعد أن تطور النقد والدراسات البنيوية السردية .

– للإستجلاء العلامات السردية في حبكة القصة إعتمد على الشعراء والأدباء وشخصية الشيخ – فهي شخصية – وُجهت إلى القارئ التي يعي من خلالها المشاهد ويرى الجنّة، ويصبح السارد الخارجي "المعري" هو ذاته الناطق بلسان " الشيخ" المختفي. تداخل الأزمنة السردية (الحاضر والماضي) عبر الاستذكار. فالقصة تجري بخط زمني كرونولوجي واحد. ثم يتوقف ليرجع الزمن بشكل فرعيّ إلى الوراء.

– ظهور مستوى خيالي ثان فهو الرابط بين عالم الجنة وعالم النار. ولهذا قسمت إلى ثلاث وتداخلت زمنيا وسردياً ومكانياً:

- بدأ المعري رحلته إلى الجنة ثم يغير المكان إلى المحشر تغييرا ذهنيا لا حسيا، تغييرا زمانيا مرتبط بخط زمان تقدمي ليعود إلى الخلف ثم يعود ليكمل الرحلة الى النار حيث يصبح المحشر جزء من رحلة الجنة لا منفصل عنها.

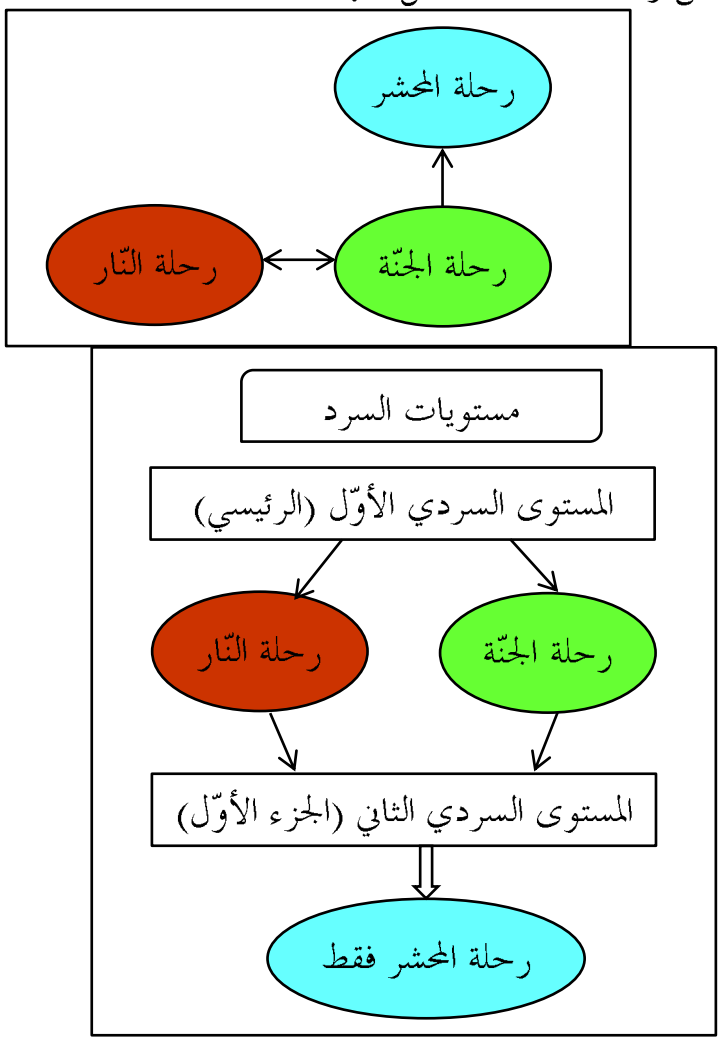

6. أراء نقدية حول المعري و رسالته :

– لم تنجب الحضارة العربيّة في العصور الخوالي من يفوق أبا العلاء المعري (449ه–363ه) في أصالة الرأي ونفاذ البصيرة وصدق النظر وروعة الخيال وإحكام القول وسلامة التعبير والإحاطة

[1] – دراسة عمر فروخ، " مجلة المفكر "، موقع المعلومات، الشامل العربي الدكتور مصطفى غالب ص129.

بالعربية وعلومها. ولم يشغل النقاد والباحثين أديب وعالم و فيلسوف ومفكر كما شغلهم رهين المحبوسين[1].

– لم يُنصف الرّجل في زمانه فأتّهم بالكفر والزندقة والإلحاد فمثلا : ذات يوم إلتقى القاضي المنازي مع المعري في مجلس فقال له : أَسمعُ النّاس يشككون في دينك وسلامة عقيدتك !

– المعري : مالي و للنّاس وقد تركت دنياهم!

– القاضي : و أخراهم ؟

– المعري : وأخراهم ...وأخراهم [2]!!

– تألب العلماء والأدباء عليه، ودعوتهم للتنفير من شعره ونثره.

– إنّها عصبة انقسمت إلى فِرَق، فمنهم ما نقل عنه ما رأى أو ما سمع من غير تبيّن ولا تمحيص، وفريقا يلحق كلامه ما ليس منه وآخر ينسب إليه أمورا لا يؤيدها العقل ولا يثبتها التاريخ والنقل. وفريق استباح لنفسه التصرف في أقواله، فهو يرى منها ما يشاء، كما يشاء، ويفسرها بما يطابق فهمه ولا بما يوافق الحقيقة والواقع[3].

– نرى في آرائهم مسحة من الحسد والتعصب الشديد والتقليد الأعمى والجهالة، وعدم انصاف لرجل أفنى حياته في العلم و الأدب.

– إنه تقصير في فهم خبايا ونوايا المعري لذلك فخَبط النقد خبط عشواء

– إن أكثر العلماء يستفرغون المجهود في التنفير من شعره لئلا يطلع الناس على ما فيه نقد للعلماء ورؤساء المذاهب والحكومات وحرية الفكر في المباحث الدينية والسياسية والإجتماعية مما لا نظير في غير كلامه[4].

[1] – محمد سليم الجندي، " الجامع في أخبار أبي العلاء المعري وآثاره"، ص9.

[2] – " أبو العلاء المعري مبصر بين عميان "، ص101.

[3] – محمد سليم الجندي، " الجامع في أخبار أبي العلاء المعري وآثاره"، ص8و9.

[4] – المرجع نفسه، ص8-9-10.

– تعصب واضح من رؤساء الأديان والمذاهب وطلب الشهرة على حسابه، وتقصير الفهم عن إدراك معانيه ومقاصده[1].

– إهتم المستشرقون برسالة الغفران وبصاحبها، فترجموا كتبه ودواوينه ورسائله إلى الألمانية والفرنسية والإنجليزية. وقاموا بمقارنة بين رسالة الغفران والكوميديا الإلهية فتوصلوا أن الأصل هي النسخة العربيّة.

– أما الدراسات العربية الحديثة أعطت للرجل حقّه، فوصفه أدونيس قائلا: " كان أبو العلاء بُرجاً يرتفع وحيداً عاليًا، في مفازة البشر وفي الجهات كلها يرى و يتلألأ..."[2].

– ويصفه طه حسين بالثمرة من ثمرات عصره، قد عمل على إنضاجها الزمان والمكان والظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ولسنا نذكر الدّين فإنّه أظهر أثراً من أن نشير إليه. فعارض اليهود والنصارى وناظر البوذيين والمجوس، واجه الفلاسفة والمتكلمين و ذمّ الصرفيّة ونعى على الباطنية وقدح في الأمراء والملوك، وشنّع على الفقراء وأصحاب النّسك ، و لم يُعف التجار والصناع من العذل واللوم ..."[3].

– و يرى عمر فروخ أنّه تأثر بآراء أجنبية كثيرة تفرقت في رسالة الغفران، لكنّه في الوقت نفسه لم يعتنقها ولا إسترقته فلسفة ما، بل ظل حُراً طليق الإرادة يختار كلّ ما عرفه وما يستحسنه ثم يضيفه إلى ما خبره في بيئته وما تفجر في نفسه، حتى وهبنا هذه النظريات الصائبة وتلك الآراء والأفكار التي تفتح آفاقا من التفكير الحرّ ومن الإندفاع للبحث عن الحقيقة[4].

– كتب العالم و الباحث الجليل محمد فريد وجدي بك عنه قائلا: " أبو العلاء المعري واحد من أولئك المفكرين، عرفه صاغَةُ الكلام شاعراً من المبرزين وعدّه نفذةُ الأفهامِ حكيمًا من المقدمين،

[1] – المرجع نفسه.

[2] – " أبو العلاء المعري مبصر بين عميان "، ص128.

[3] – طه حسين، " تجديد ذكرى أبي العلاء "، ص19.

[4] – عمر فروخ، " أبو العلاء المعري، الشاعر الحكيم "، ص151.

فوجد هؤلاء وهؤلاء منه ما يبلغ أقصى ما تتطلع إليه نفس من تصوير وإبداع وخيال وإختراع وإستجلاء لحقائق الموجودات ..."[1].

– إن فضل أبي العلاء ظهر في عصرنا، عهد الأبحاث والشكوك عهد المذاهب والمقالات، حيث إشتجرت العقول، وتناحرت الآراء وثارت أعاصير الريب .. فإرتفع الرجل إلى المكانة التي يجب أن تكون له بين السابقين الأولين.

– إنّه رجل سبق عصره بمئات السنين، فتخلص من أغلال التقليد، ولبس ثوب الحداثة المفقودة في عصره، فأفهم في دينه، وقوّلُوه ما لم يقله من الشعر المزري، فتصدى الكثير من الأئمة لتبرئته مما نسب إليه، وتزاحم الأدباء والمفكرين في أروبا على نهل من كتاباته وعلمه وأقواله وآرائه لتصبح مصدر إشعاع فكري أدبي وفلسفي لعدّة روائع أدبية عالمية في أوروبا.

– إنه أجمل ما كتبه في الدين والعلم والأخلاق وفي أساليب الشعر وفنونه ورجاله وعيونه، آيته الموسومة برسالة الغفران.

– فهي طلب كلّ محب لإستشراق روح أبي العلاء المعري فأكثر من غريب اللغة وأطال في سرد العبارت الغامضة أو ضرب أمثال شاردة أو ذكر مالا يعني للعربيّ القح في ذلك العصر[2].

– مما جعل الرسالة عبئا ثقيلا على المعاصرين يكدُّ أذهانهم و يكل عزائمهم ويقف بهم عند حد منها لا يَتَعدّونَهُ.

[1] – ابو العلاء المعري، " رسالة الغفران "، مقدمة الكتاب ، ص20.

[2] – قلم وجدي بك ، " رسالة الغفران "، ص22.

الفصل الثالث:

السياقات النقدية في

"رسالة الغفران"

المبحث الأول: السياق التاريـــخي

المبحث الثاني: السياق الاجتماعي

المبحث الثالث: السياق النفسي

المبحث الرابع: السياق اللغوي

المبحث الأول : السياق التاريـــخي

بنيت رسالة الغفران على سياق تاريخي وديني، إستقى أبو العلاء المعري روافده من حادثة الإسراء والمعراج للرسول "محمد صلى الله عليه وسلم" وبعض الأحداث التاريخيّة الحقيقية. سنستعرض لأهمها.

– يثني أبو العلاء المعري على النبيّ "محمد صلى الله عليه وسلم" أكثر من عشرين مرة، ويستشهد بأحاديثه وكلماته.

– استقصى أحوال الشعراء، وسبر أغوارهم في كلّ عصر، وبيّن معتقداتهم مثل الحنفية عند زهير بن أبي سلمى والنابغة بني جعدة و المسيحية عند عدي بن زيد.

– اختراقه لخيام الشعراء والعرب، فأخرج الشعر القديم الضيّق من دائرة العبث والفردية والقبلية والقدح والمدح والارتزاق الرخيص. ليدخل دائرة أوسع، مداها الكون وذلك من خلال استعراض للمشاجرات الواقعة داخل الجنة مثلها وقع بين الجعديّ والأعشى حول كلمة الرباب[1] في قول الأعشى :

بعاصي العواذل طلق اليدين يعطي الجزيل و يرخي الازارا

فما نطق الديك حتى ملأ ت كوب الرباب له فاستدار

– فيقول أبو بصيرة : قد طال عمرك يا أبا ليلى ، و أحسبك أصابك الفند، فبقيت على فندك إلى اليوم ! أما علمت أنّ اللواتي يسمّين بالرباب أكثر من أن يحصين ؟

– فيقول نابغة بن جعدة : " أتكلمني بمثل هذا الكلام، يا خليع بني ضبيعة، وقد مِتَ كافرا وأقررت على نفسك بالفاحشة. فأنا أطول منك نفسا، وأكثر تصرفا، ولقد بلغت بعدد البيوت ما لم يبلغه أحد من العرب قبلي، وأنت لاه بعفارتك تفتري على كرائم قومك، وإن صدقت فخزيا لك و لمقارك ؟ !

[1] – " أبو العلاء المعري مبصر بين عميان "، ص27.

– غضب أبو بصيرة : فيقول : أتقول هذا وإن بيتًا مما بنيتُ ليُعدلُ بمئة من بنائك؟ أتعيّرني مدح الملوك ياجاهل، ولو قدرت على ذلك لهجرت إليه أهلك وولدك؟ ولكنك خُلقت جباناً لا تُدلجُ في الظلماء الداجية ...[1].

– قدرته الكبيرة على حفظ نسب القبائل كتعريفه بعوران قيس وهم خمسة نفر يطوفون في رياض الجنّة وهم تميم بن مقبل العجلاني، عمرو بن أحمد الباهلي، الشماخ معقل بن ضرار، راعي الإبل عبيد بن الحصين النميري، وحميد بن ثور الهلالي"[2].

– قدرته على إحياء التراث القديم من خلال وصفه لشباب من أولاد الأكاسرة يتضاغون في سلال النار في جهنم ويقولون :

نحن أصحاب الكنوز، نحن أرباب الفانية، ولقد كانت لنا إلى الناس صنائع وأياد، فلا فادي ولا معين، فهتف له داع من العرش: يذكرهُ برسالة النبي "صلى الله عليه وسلم" إلى كسرى ودعوته الدخول في الإسلام. وقال الداعي من العرش : لقد جاءتكم الرسل في زمان بعد زمان والآن: لا ظلم اليوم، إن الله قد حكم بين العباد.

– وصفه للحياة الثقافية وبعض المدرسين في حلب مثل أبو علي الفارسيّ، ويزيد بن الحكم الكلابي، قاضي حلب، إستذكر لبعض الحوادث مثل: حادثة مقتل حمزة عم الرسول على يدّ وحشي في غزوة أحد ولقبه بسيد الشهداء ولقائه بأفراس من نور وهم أبناء النبي: عبد الله والقاسم والطيب والطاهر وإبراهيم وفاطمة.

– لينتقل بنا ابن القارح إلى جنة العفاريت، إلتقى بأبي هدرش فهو الذي أنذر الجنّ لما سمع بالكتاب المترل، فمررنا بيثرب: " قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا(1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (2) " سورة الجن /الآية 1و2.

[1] – " رسالة الغفران "، الجزء الأول.ص68

[2] – المرجع نفسه.

فعدت إلى قومي، فذكرت لهم ذلك، فتسرعت منهم طوائف إلى الإيمان : ويواصل المعري عرضه للحوادث التاريخية كحديث ابن القارح مع : أسد القاصدة، الذي كان في طريقه إلى مصر لما سافر عتبة بن أبي لهب، دعا النبي عليه " اللهم سلّط عليه كلباً من كلابك "، أُلهمتُ أن أتجوع له أياما، وجئت وهو نائم بين الرفقة، فتخللت الجماعة إليه وأكلته[1].

– نستحضر قصة الخنساء ورثائها لأخيها صخراً، فرأته في النار كالجبل الشامخ والنّار تضطرم من رأسه فقال ها: لقد صح مزعمك فيّ:

إنّ صخراً لتأتم الهداة به كأنّه علم في رأسه نار

– ليدخل إبن القارح إلى الجحيم، ويصف الشعراء الجاهليين مثل بشار بن يرد، إمرؤ القيس، عنترة عمرو بن كلثوم، طرفة، الأخطل، المهلهل، الشنفرة، تأبط شراً أو ما يلاقونه من أهوال العذاب هناك.

– لقاءه بسيدنا آدم عليه السلام وحادثة تكلمه اللغة العربية وهو في الجنة، فلما هبط إلى الأرض نقل لسانه إلى السريانية.

– اتضحت لنا شاعريته في التباهي بالقدرة على نبش قبور الكلمات الميتة، لا يقصد احيائها ونفض غبار الموت عنها، بل بقصد تحنيطها ونقل رفات رميمها من ضريح التاريخ إلى ضريح القالب التعبيري الأجوف ، بل نابشا قديرًا للدفين الأقدم من مواتها[2].

– استخدامه الكثير الغزير من ميت الالفاظ ووحشي الكلام والمستغرب من الصيغ والتراكيب مثل: الفيهج، أم ليلى، أم زنبق كلها مسميات لكأس الخمر.

– وصفه للصراع السياسي الذي بلغ ذروته في عصره، حيث المدّ الشيعي بقيام الدولة الفاطمية التي تؤمن بالظاهر والباطن، حتى تأويلاتهم كانت باطنية للأمور المعتقِد، فتفنن الشعراء والأدباء على مستويات الدلالة، وكثرت أساليب الالغاز والتعريض والتورية وأصبح الرجل من روادها،

[1] – " رسالة الغفران "، ص78.

[2] – " أبو العلاء المعري مبصر بين عميان "، ص27.

ولعل حادثة آل المغربي التي يستعرضها ويومئ إليها أبو العلاء في رسالته واضحة كلّ مرة. و غدر ابن القارح لهم. ومقارنتها بمجزرة آل المغربي بمجزرة البرامكة في بغداد على يد هارون الرشيد الملك العباسي.

– استعراضه لحادثة الإفك على يد حسان بن ثابت الذي ماثل المعري فيها بين (مسطح) وهو الذي تولى كبر حادثة الإفك و لم يحفظ لأبي بكر صنيعاً، وهو الذي كان ينفق عليه ويرعاه، وهنا نرى أنفسنا مرة أخرى أمام إبن القارح الذي غدر بآل المغربي، و لم يحفظ صنيعهم.

– حديثه عن بخل وشح وانعدام المروءة والنخوة عند ابن القارح لما شكى بنت أخته لما سرقت ثلاثة وثمانين دينارا، اشتكاها للسلطان. ليرد عليه أبو العلاء: "إن هذه الدنانير مكتسبة من التمسح بأعتاب الفاطميين و التمرغ في ترابهم"[1].

– الصراع اللغوي في عصره (نبذه لمدرستي الكوفة والبصرة (الكسائي وسيبويه)). فهي علامة عصره، في التحقيق اللغوي، ورد الكلمات إلى أصولها، ونقد ما جاء عن السلف، نقد خبير بصير وهو في هذا الميدان انقلابيّ متجدد يكره الوقوف عند القواعد القديمة حتى لو جاءت من كبار وضعيها كسيبويه مثل: التشكيك في قول سيبويه هو تلويح لنفاق صاحبه وتقلبه وتلونه وخبث دينه، حيث يقول ابن القارح لعدي بن زيد: اني أريد أن أسألك عن بيتك الذي استشهد به سيبويه : أرواحُ مُودّع أو بُكورُ أنت فانظر لأيّ حال تَصيرُ

– تدور المناقشة حول قول سيبويه يرفع "أنتَ" لفعل مضمر...[2].يفسره قولك، دعني من هذه الأباطيل، وأنا أستبعد هذا المذاهب ولا أظنك أردته فبرد عليه عدي.

– ازدراء المعري من الأدباء واللغويين الذين وجدهم لا يستحقون ذلك المقام الرفيع، لا يزالون على حمقهم وسخفهم و تخاصمهم ليواصل إظهار سخطه على أحداث مذلة وقعت.

[1] – " رسالة الغفران "، ص196.

[2] – " رسالة الغفران "، ص191.

– ابن القارح لمّا دخل إلى الجنة متعلقا في أذيال الركب الفاطمي مجتازا الصراط على ظهر جارية من جواري السيّدة فاطمة[1] تحمله "زقفونة" وهذا نرجعه للتلون الشيعي ظاهر للعيان، نرجعه إلى عمق تأثره بفوضى الحياة الدينية[2].

– لقد وقع المعري في دائرة الفاطمية لما ذكر في رسالته "علي بن ابي طالب وصحبته للنبيّ "، واستعانة ابن القارح به وطلبه لشفاعته، وهذا ما توصل إليه الدكتور محمد زغلول سلام في معرض كتابه[3].

– تناول طائفة من اخبار الملوك والدول التي أظله عصرها وذكر طائفة من الأحداث وقعت في ذلك العهد كوضعه للمؤمنين والمنجمين في دائرة واحدة.

– الصدام الواقع داخل المذهب الشيعي الواحد، والذي نتج عنه فرق، فآل المغربي كانوا شيعة اثنا عشرية[4] والبلاط الفاطمي تبنوا المذهب الإسماعيلي الذي صوّره أبو العلاء في رسالته والذي يقوم على نظرية الحدود –المثل و الممثول– أن الله خلق العقل الكلي والنفس الكلية وهي خلقت العالم والإمام عليّ وريث النبيّ وهو العقل الكليّ والنفس الكلية[5].

– وسخر أبو العلاء المعري من هذا الأمر حين قال: " لقد جعلتم أمر السماء، كأمر الأرض، وأحوجتم الله إلى حفظة ترفع له الأخبار وهو سبحانه مستغن عن كل هذا "[6].

– سخريته من معتقد التعويض الشيعي، فالأعشى صار عشاه حور معروفاً وإنحناء ظهره قواماً مرصوفاً، وحمدونة الحلبيّة مثل الدمامة و القُبح أصبحت حورية من الحوريات.

– وصف بعض رحلاته، كرحلته إلى حلب ومصر عن طريق ابن القارح في مصر– وعاشر ملوكاً وقد سمع أنباء النعمان الأكبر، وتحدث عن دنانير عبد الله بن مروان، وعايش زمن

[1] – دكتور : محمد فوزي أمين، " رسالة الغفران بين التلميح والتصريح "، ص99.

[2] – عائشة عبد الرحمن، " الغفران لأبي العلاء"، دراسة نقدية، دار المعارف ط3، ص29.

[3] – محمد زغلول سلام، " الكتابة والكتاب "، منشأة المعارف الإسكندرية، ص270.

[4] – إبراهيم الموسوي الزنجاني، " عقائد الإمامية لأثني عشرية "، البحرين، ص209.

[5] – مصطفى غالب، " تاريخ الدعوة الإسماعيلية "، دار الأندلس بيروت، ص53.

[6] – أبو العلاء المعري، " رسالة الغفران "، ص127، الجزء1.

أبو جعفر المنصور والمعتصم وأورد له قصة مع إبراهيم المهديّ: دعاه كعادته للغناء فغناه وبكى، فقال له المعتصم: ما يبكيك؟ فقال: كنت عاهدت لله إذا بلغت ستين سنة أن أتوب، وقد بلغتها، فأعفاه المعتصم من الغناء وحضور الشراب"[1]. وهنا تتضح لنا صورة العصر بجلاء، شرب خمر وغناء، رقص للجواري في قصور الملك، أوج صور الابتذال و الترفه.

– ليصل إلى الحديث عن ابن هانى الأندلسيّ ومذهبه الذي يتظاهر به ولا يعتقده، وغلوه في مدح المعزّ في المغرب .

– تحامل المعري على الزنادقة والملحدين وذكر أسماء بعضهم (أبو نواس، صالح بن عبد القدوس، الصناديقي، ربيعة بن أمية بن خلف الجحمي، دعيل بن عليّ ...إلخ).

– أورد المعري بعض أمثال العرب وأحكامهم، وسذاجتهم وولعهم بالقصيد، وكيف تعاملوا مع القرآن ونبيّه بنفور، في البداية حتى اتسق ملكه، فما زج العرب غيرهم من الطوائف.

– وصف القرآن الكريم بأنّه كتاب بهر الإعجاز، ما هو بالقصيد الموزون ولا بالرجز، ولا شاكل خطابة العرب ولا سجع الكهنة، جاء كالشمس ، فآية منه كالشهاب المتلألئ في جنح غسق.

– ليتطرق لحادثة زواج الرسول محمد "صلى الله عليه وسلم" بخديجة أم المؤمنين بالتفصيل.[2]

– ذكر جانب من حياة الرسول في شبابه مع زيد بن حارثة. مُضَيَا ليأكلاَ في بعض الشعاب، فلقيهما زيد بن عمرو بن نفيل، وكان على دين إبراهيم – صلى الله عليه وسلم – فدعاه النبيّ ليأكل من الطعام – فسأله عنه فقال: هو شيء ذبحناه لآلهتنا فقال زيد: إني لا آكل من شيء ذُبح للأصنام، إنّي على دين إبراهيم – صلى الله عليه وسلم– ". وهذه القصة ذكرها أبو معشر المدني في كتابه المُبعثُ – ليستشهد بآية قرآنية من سورة اضحى الآية(7) "...ووجدك ضالاً فَهدَى ..."

– والحديث لا ينتهي عن العلامات التاريخية البارزة في رسالة الغفران فهو منبع لا ينضب من السياقات التاريخية المؤرخة بأبيات الشعراء في كل عصر.

[1] – " رسالة الغفران "، الجزء2.ص98

[2] – " رسالة الغفران "، ص150.

المبحث الثاني: السياق الإجتماعي

- للمعري نظرة فاحصة أوردها في رسالة الغفران – حول تأليف المجتمع، فهو يرى أنّ البشر – كلهم سواء - بالفطرة التي فُطروا عليها في كلّ زمان ومكان، فهم كلهم من آدم، وقد ذكر رسالة لآدم يصف ذريته قائلا: " لم يزل الإلحاد في بني آدم على ممر الدهور، لقد بعثتُ لأبنائي، أنذرهم بالآخرة وأخوفهم من عذابها، فكذبوه وردوا عليه القول، وساروا على المنهاج إلى يومنا هذا ...".

بالغ المعري في وصفهم – البشر - فوصفهم بالسباع (الحيوانات المفترسة)، لأن إختلاط العرب بالعجم والزنوج، والبربر والفرس أفسد طبائعهم فجُبلوا على الخنوع والكذب والنفاق وهنا يظهر جليا توظيفه للأسد القاصرة وذئب الأسلمي و حية ذات الصفا والحية القارئة في رسالته. فحكم عليهم بالفساد ونفض يده من اصلاحهم. حيث يقول في رسالته: " ...تعايش العالم بخداع، وأضحوا من الكذب في إبداع .... كم من شبل نافق أسدا، وأضمر له غلاً وحسداً، وضيغم نقم على فرهود، وَوُدَ لو دفنه ... إني لمكذوبٌ عليه، كما كذبت العرب على الغول "[1].

- إنهيار المجتمع في العصر العباسي الثالث (القرن الرابع الهجري) من دولة ومؤسسات ومجتمع، وإزدهر - في الوقت نفسه – الفكر، فبلغت الفلسفة أوجها ومعركة علم الكلام نهايتها، و الشعر قيمته، والنثر أعلى مراقي بلاغته[2]، فنقم أبو العلاء المعري من رجال الدولة لأنهم تركوا شؤون العامة وإنصرفوا إلى تنعم بالجاه والمال والرقص والغناء، واهملوا شؤون الرعية فانقلب الحكام إلى جلادين للشعب بدلا أن يكونوا جزء منه، ويتضح ذلك في الجزء الأول من رسالة الغفران، على ندامى الفردوس، وشرب الخمر، مجالس الغناء، ورقص الحور، ومجالس الشعراء وتهافتهم على مدح الملوك.

[1] – " رسالة الغفران "، مقدمة الجزء الثاني.

[2] – " أبو العلاء المعري مبصر بين عميان "، ص9.

– ناقش المعري في رسالة غفران، فساد رجال الدّين، وإتخادهم لمعتقدهم "كلبا"يصطادون به المناصب والأموال ويتسترون به عند إتيان الكبائر والمنكرات. فرجال الدّين يمشون في الناس بأثقالهم وأوزارهم ويتخذون من الدين مطية، سخيف هذا العصر الذي تنقلب المقاييس وتتطاحن القيم فأصبحت طباع البهائم وسعورة الكلاب[1]، يتضح ذلك في شخصية ابن القارح، ما اتسم به من شهوانية واسراف وابتذال أيّام الفاطميين، ليتوب ويدخل الجنة العلائيّة ويعلن عودته المتخفية لسهرات الخمر مع الشعراء وأصدقاء السوء مثل الأعشى والنابغة الذيباني وغيرهم. فصاحبه جاوز السبعين و لم يزل مشدوداً إلى الدنيا بأسباب الرغبة والشهوة فهو مهوى أفئدة النساء وبخاصة العجز والمكتهلات في قوله: "و لعله لو نشط لهذه المأدبة، لتنافست فيه العجز والمكتهلات وعلت خِطبَةُ المنهلات ..."[2].

– يشكو أبو العلاء المعري ظلم اجتماعيّ كبير، أناس يتضورون جوعا، وحكام يتنعمون بالخيرات، عدم التوزيع العادل للخيرات والطبقية و العبودية يتضح في رسالته إلى التوزيع الغير عادل للشعراء والأدباء في جنته ومحشره .

– عدم المساواة في الأحكام، أبو الطيّب أدعى النبوة فلم يكفره أحد، وأبو العلاء لم يدعيها ولكنهم كفروه، فهو الذي صلى وصام وتهجد، وأرسل إلى السماء ابتهالات، هي ابتهالات النساك والمتصوفة.

– التكالب والتطاحن على الحكم الذي أدى إلى إبادة عائلات بأكملها كعائلة آل المغري على يد الفاطميين. وكثيراً ما كان يومئ إليها المعري في رسالته.

– انتشار التعصبيّة والنعرة العنصرية عند العرب خاصه لبني جنسهم ومعتقدهم ولون بشرتهم وهذا ما لمح إليه المعري في رسالته عندما تحدث عن علاقة ابن القارح مع طرفة بن عبد، وبشار بن برد وعنترة وامتلأ المحشر بهؤلاء السودان تأبط شرا وعلقمة بن عبدة وكأنه يبشرهم بمصير كمصيرهم.

[1] – " أبو العلاء المعري مبصر بين عميان "، ص12.

[2] – دكتور : محمد فوزي أمين، " رسالة الغفران بين التلميح والتصريح "، ص24–25.

– صراع المدارس اللغوية الكوفية والبصرية والشاميّة بقيادة المعري وقد ظهر ذلك جلياً من خلال المشاداة اللغوية بينه وبين سيبويه.

– مثل : ينتقل المعري لمناقشة إنكار سيبويه على بشار قوله :

الغَزلِيُ منيّ السَّلامُ فطال ما لهوت بها في ظل مُخَضَّرةٍ زُهرِ

حيث قال سيبويه: لم تستعمل العرب الغزلي، فقال بشار: هذا مثل قولهم "البشكى" و "الجمزى" ونحو ذلك. لكن المعري بيّن طريق القياس بها، فهي علي وزن "بشكى" و "جمزى" يقال: ناقة يشكى" أي خفيفة وسريعة و"أتان جمزى" أي مسرعة وغزليّ من الغزال كأنّه يريد أنّها غزالة".

– أثار أبو العلاء المعري في رسالته قضية شاءكة منتشرة في المجتمع آنذاك وهي "الانتحال في الشعر" فصور لنا ابن القارح يروي على أصحابه في الغفران قصائد يحفظها من شعرهم فينكروها مثل : النابغة الذيباني والنابغة بني جعدة، والأعشى ..إلخ ...خير مثال على ذلك، نراه يلتقي آدم عليه السلام، فيقول له: قد روي لنا عنك شعر منه قولك:

نحن بنو الأرض و سكانها منها خلقنا و إليها نعود

ويسأله، عما نسب إليه في حادثة قتل قابيل و هابيل – أنكر آدم كل ذلك –، و العجيب أننا نرى آدم يفسر لإبن القارح الأسباب التي لو كان فكر فيها لما سأله عن مثل هذا الشعر المنحول. وابن القارح يقف موقف التلميذ[1]، وهذا سهم آخر موجه لابن القارح، جعل آدم عليه السلام يتولى تبصرته بالأصيل من المنحول، أي ليس لك بصر بما تحمل من الشعر، ولا تستطيع أن تميّز أصيله من دخيله.

– يواصل المعري هجومه على أعداء المجتمع، من الدولة التي تستبيح فتح صالات الخمر والمجون على مرأى من رجال الدّين، الماهرون الماكرون، تراهم يحرمون الخمر على النّاس عند الصباح ويجاهرون بشربها عند المساء فلا خجل ولا حياء وهذا ما نقرؤه على لسان ابليس لما قال:

[1] – دكتور : محمد فوزي أمين، " رسالة الغفران بين التلميح والتصريح "، ص86.

"إن الخمر حرمت عليكم في الدنيا، وأحلت لكم في الآخرة، فهل يفعل أهل الجنة بالولدان المخلدين فعل أهل القريات؟"[1].

– ولعل السياق الباطني للحوار، يأخذنا إلا السياسة المبتذلة للحكام لأن حكامهم أعاجم، ونسلهم هجين، يحاولون ضرب الأمة الإسلامية في أعزّ ما تملك "دينها"، يحللون ما حرّم الله، يعملون على تنشئة جيل من العصاة لأوامر الله، منحول الشخصية والهوية.

– لقد جاهر المعري في رسالته بنقده اللاذع وسخطه نحو الزندقة والزنادقة. هي ظاهرة انتشرت بشكل ملفت في عصره، ولقد أطال فيها خاصة في القسم الثاني من رسالته. فراح يعرّفها ويعدد أسماء أصحابها الذين يعترفون بزندقتهم دون خوف من القتل.

– يرى المعري أن السبب الحقيقي لهذه الظاهرة هي كثرة الفرق الدينية والمذهبيّة ومعتقداتهم المتشعبة، تحدث عن القرامطة وأفكارهم المسمومة وعن مذهب الحلول الذي عرّفه المعري قائلا: هو مذهب قديم ينتقل من عصر إلى آخر، ويقال: " أنّ فرعون كان على مذهب الحلولية، فلذلك إدّعى أنّه ربّ العزة، وحكى أنّ رجلا كان يقول في تسبيحه: "سبحانك سبحاني وغفرانك غفراني" و هذا جنون[2].

– ثم عرف مذهب التناسخ أنه عُرِف في الهند، و كثر عند الشيعة و استشهد بأبيات شعرية لهم.

– لقد فصل المعري في رسالة الغفران الحديث عند المدّ الشيعي في العصر العباسيّ الثالث و مدى دعم الفرس على انتشاره من خلال تشيع ابن القارح وهو في كنف عائلة آل المغربي الذين يتبعون مذهبا ومذهب البلاط الفاطمي الإسماعيلي و نظرية الحدود عندهم .

– ليستعرض في الأخير بعض الآراء المضحكة للشيعة في علي بن أبي طالب كرم الله وجهه[3]:

– أن الذي قتله هو " ابن ملجم" شيطان تصوّر للناس في صورته، أمّا عليّ، فقد صعد إلى السماء، وسيترل إلى الدنيا وينتقم من أعدائه.

---

[1] – دكتور : محمد فوزي أمين، " رسالة الغفران بين التلميح والتصريح "، ص309.

[2] – " رسالة الغفران "، الجزء الثاني.ص120

[3] – المرجع نفسه.

– أن الله أرسل جبريل إلى عليّ، فذهب إلى محمد خطأ لشدة الشبه بينهما. وهذا الفرقة تقول: " العنوا صاحب الريش" هو جبريل.

– زعموا أن عليًا هو الله ، وشتموا محمداً. أن صوت الرعد والبرق صوته ومن سمعه يقول:" عليك السلام يا أمير المؤمنين".

– لقد ربط المعري فساد المجتمع إلى عدم الاصغاء لصوت العقل واتباع الهوى والفوضى. انتشار المنجمون والسحرة – لا علماء الفلك– الذين يوهمون العامة أن الرُقيُّ والنذور تشفي الأمراض.

– لم يكن المعري منتميا إلى عصره بمعنى الرفض والتنكر للقيم السائدة، بل كان يبحث عن عصر آخر تُحتَرمُ فيه إنسانيّة الانسان[1] وتُقدّر فيها المواهب حق قدرها، والدعوة إلى المساواة ولهذا خلق خيالا تشخيصياً مسرحيًّا قادراً على خلق العوالم التي يشاء... والشخوص التي يريد ...ووزع الأدوار كما يحّب[2].

المبحث الثالث : السياق النفسي

– رسالة الغفران متنفس رحب للأشواق الدفينة والرغبات المكبوتة في أعماق هذا الزاهد، المجاهد الذي انتصر إلى الدنيا بعد معاناة، ها هي تجد مستراحا لها إلى عالم الآخرة[3].

– إنّها الأماني الموءودة وصبابات الشباب الدفينة يلهبها صدى الشوق المغلول الذي كبل نفسه بالحرمان فبانت أحلام يقظته في رسالة الغفران.

– كَرِهَ الحياة لأنّها جرحت كبرياءه، وأذلت عنفوانه وحطّمت قلبه، فأحب الموت بعد طول مغالبة ومكابدة، فراح يحبس نفسه في ثلاث محابس و هي:

1. محبس العمى: أصيب المعري بالجذري في وجهه، فانتقل إلى عينيه بياض من أثره –الجذري– ليفقد حاسة البصر، ليجد نفسه وسط ظلام دامس يتصور الأشياء ضبابا والألوان

[1] – " أبو العلاء المعري مبصر بين عميان "، ص152.

[2] – المرجع نفسه، ص19.

[3] – " رسالة الغفران مبصر بين عميان "، ص114.

بلون الرماد، وكان يَعِدُ اللّون الأحمر ملك الألوان والسبب في ذلك لأنه :" أُلبِس ثوب أحمر أو مصبوغاً بالعصفر، فهو يعرف اللّون الأحمر من ذلك الثوب ولا يفضل غيره "[1].

– لقد كان العمى الحافز المباشر والنواة الرافضة للوجود والموجود، تنطوي تحته نفس قلقة مضطربة لو أعطيت ألف مشكاة لأضاءت العالم بأكمله، تحولت سويداء البصر إلى ضياء البصيرة، ضياء يكشف المجهول ويعري الحقيقة ويسخر من لعبة القدر. ويتضح ذلك في سعير الجحيم وزبانيتها ووصفة لمظاهرها. فعماه تحوّل إلى شعلة ملتهبة كإلتهاب نار جحيمها تحترق به شواذ الأشياء ولا تطمئن إلى على ركام الرماد.

– أُتُّهم بالتشاؤم والتّطيّر، وهو اتهام باطل مرده إلى عصر كثر فيه العفنُ والدنس وتحول إلى مستنقع من الظلم والذلّ والهوان وصل به إلى حدّ الغثيان والتمرد على كلّ الوجود، ليصل إلى حالة تشبه الكشف الصوفيّ تتعرى فيه الحقائق. لقد أنكر المعري ذلك في رسالة الغفران فقال: " ومن أولع بالطّيرةِ، لم ير فيها من خيرة و إنما هو شر متعجل ..."[2].

2. محبس الجسد: تحرر الجسد إرادياً من كلّ لحم ودم وجنس وشهوة. جسد شفاف يسيّره العقل[3]، رجل صبورٌ شديد الإحتمال للأذى من خصومه قنوع مكتفٍ، لم يقترف منكرًا، و لم يدنس لسانه بهجاء أحد، شديد الحياء، محب للخير، شديد الخوف من الله لشدة تقواه، خوف من عناء الحياة، خوف من الخلود في النار، الخوف من تغيّر الحال، كلّ هذا يظهر في رسالة الغفران من خلال تنقلات ابن القارح بين الجنة والمحشر والنّار.

– التحرر في رسالة الغفران يكمن في الخيال والنقد والهدم والتمرد على القيم والمقدسات والسخرية القابعة في أسطرها، هو ذلك الرجل الملقَى في المحيط مجردًا من كل مرسى[4]. ثائراً على مجتمع يتخذ فيه المسخ بطلا في غفلة من الزمن ويظن القزم نفسه عملاقا. لهذا جعل جنة الغفران

[1] – " الجامع في أخبار أبي العلاء المعري "، ص66.

[2] – " رسالة الغفران "، ج1 ص161.

[3] – " أبو العلاء المعري مبصر بين عميان "، ص19.

[4] – أدونيس، كتاب" ديوان الشعر العربي "، الكتاب الثاني المكتبة العصرية، صيدا بيروت–1924– ص28–29.

تعج بحركة نفسيّة لا تقل صخباً وعنفًا من الحركة الحسيّة، اضطرب نفوس المحرومين إلى حنين الموعودين إلى خوف وحذر و إعزاء وانتظار وانفعال، فنجد :

- **حرية الإختيار:** التي أُعطِيت لابن القارح: فأصبح حرّ الإرادة غير مجبر، كما كان يعتقد في الدنيا، وأن الله هو الذي أراد له ذلك – وهنا نقد دينيّ– كما أصبح خبيراً بمقاييس الجمال، لحرصه الشديد أن تكون له جارية حوراء ممشوقة القدّ لا عيب فيها. وهذا ما نجده في وصف ابن القارح وحديثه مع الحور: " لجلسة معكما بمقدار دقيقة من دقائق الدنيا خير من ملك بني النضر بالحيرة وآل جفنة وملوك الشام **!**"[1].
- **قانون التعويض:** لقد انقلب الجميع شبابًا أو حور عين وأعمى إلى مبصر في جنّته[2].

– تمتع المعري بتحرر في التفكير، سعى دائما وراء المجهول، تخطى ظواهر الأشياء طلبًا للوحدة العميقة واستشراف ما وراء الحجب، وتناول كلّ ذلك تناولاً إنسانيا رحيمًا من خلال تعامله مع جنة العفاريت.

– راح يصفها قائلا: " فإذا هو بمدائن ليست كمدائن الجنة ولا عليها النّور الشعشعائي، وهي ذات أوحال فيقول لبعض الملائكة:" ما هذه يا عبد الله؟" فيرد: هؤلاء الذين آمنو بمحمد "صلى الله عليه وسلم"، وذُكروا في الأحقاف وفي سورة الجنّ وهم كُثُرٌ"[3]، فإستمع إلى أشعارهم وقصصهم.

3. محبس المترل: ماذا يضم ؟

– يضم عينان منطفئتان مبصرتان، وراءهما عقل نافذ، جسد شفاف والكلّ : هو مشكاة متوهجة تهب النور لفاقديه[4]. أنتجت ظاهره فكرية وعقلية حيّرت الأدباء والمفكرين عبر سائر الأزمان. إن وهجه بالأدب وخياله الواسع تمكن من انتاج رسالة الغفران.

---

[1] – " رسالة الغفران "، الجزء الأول.ص70

[2] – " أبو العلاء مبصر بين عميان "، ص116.

[3] – " رسالة الغفران "، ص72.

[4] – " أبو العلاء مبصر بين عميان "، ص20.

– تحكميه للعقل، وغياب عاطفة الحبّ، والحنان والبسمة كلها أشياء موجودة من صميمه حبستها فيه ظلمة الوجود والموجود وغياب الأب والأمّ والأحبة تحت الثرى فتحولت إلى حيوانات جميلة وحور عين في الجنة.

– شاعر حساس له حسم عاطفيّ آنيّ سرعان ما نراه ينتقل منه إلى معادلة بين الكفتين:كفة الإيمان العاطفي والبرهان العقليّ الحسيّ[1] نجده في وصفه للفردوس وجنة الحور ونعيم الخلد يصفها قائلا:" يتكئ على مفرش من السندس ويأمر حور العين أن يحملن ذلك المفرش فيضعنه على سرير من زبرجد أو عسجد ..."[2].

– حلمه بمجتمع مثاليّ عقليّ تمناه في رسالة الغفران، مبنيّ على الحبّ والفضيلة.

– شخصية ساخرة بالحياة والقدر، يصفه طه حسين: " تخالهُ ساخراً من السخر، مترفعا عن الاهتمام بإظهار قصده لشدة استخفافه وقلة مبالاته..."[3] وأغلب الظن هي حالات نفسية تنتاب شخصية أبي العلاء المعري الحساسة المرهفة، فتتكيف بها آراؤه وفكره وخياله الفياض.

– يذهب طه حسين كثيرا محللا نفسيته فيقول: "يرى أنا قد اقتربت من هاوية الكفر ويرى أنا قد رجع وأناب ...فكتب رسالة الغفران غالبا في ظروف سيطرت عليه وأحاطت به، فَخُيل إليه أنه في قمة الجمال الإنسانيّ وصار ينظر إلى النّاس من أعلى وكأنّهم إزاءه قد انحدروا إلى هاوية الإنحطاط والصنعة"[4]. فكانت سخريته من الناس و المجتمع و الحياة كلها.

– تزخر رسالة الغفران بأمور نفسية خفية والتي لا يستطيع أحد أن يعلمها إلا إذا أخبره بها صاحبها.

---

[1] – " أبو العلاء المعري مبصر بين عميان "، ص97.

[2] – " رسالة الغفران "، الجزء الأول.ص73

[3] – طه حسين، " تجديد ذكرى أبي العلاء"، 1979، ص256.

[4] – المرجع نفسه، ص257.

المبحث الرابع : السياق اللغوي

1. **السياق النحوي:** تعرض أبو العلاء المعري في رسالة الغفران لعدّة قضايا لغوية ونحوية، لأنّه كان ملمًا بدروس اللغة والنحو وأمعن البحث في قواعدها وما شذ عنها، واطلع على كثير من الأحكام الراجحة والواهية والتي حاول أصحابها تقويتها بالأدلة الواهية والحجج الملفقة والزائفة، فلم يرق له الكثير من أقوال العلماء في هذا الفن ورأى في أحكامهم ما يشبه الهذيان والضلال أو الأباطيل[1]. أسلوبه في النقد لاذع، لا يتبع طريقة واحدة، يذكر موضع النقد ولا يزيد عليه، يذكر أسبابه، ويبيّن رأيه في الحكم، يقره أو يدفعه، فيذكر المشابه أو المناقض له، عن طريق الاستفهام أو المحاورة أو ما شابه ذلك[2]. وقد رأيت أنه من المناسب أن نقسم نقده حسب العصور الأدبيّة.

أ. **شعراء العصر الجاهلي:** من بينهم :

✓ **امرؤ القيس:** في قوله :

ألا رُبَّ يَومٍ لك مِنهُنَّ صالحٍ ولا سيّمَا يومٌ بدارَةِ جُلجُل

ثم يقول: فأما "يَومٌ" في الشطر الثاني، فيجوز فيه النصبُ والخفضُ والرَّفعُ ثم يبيّن أسباب اعتماده هذا الرأي النحوي بقوله[3]:

فأمّا النصب فعلى ما يجب للمفعول من الظروف، والعامل في الظرف هاهنا فعل مضمر، وأمّا الرفع فعلى أن تُجعَلَ ما كافةٌ، وما الكافة عند بعض النحويين البصريين نكرة، وإذا كان الأمر كذلك فـــ "هو" بعدها مضمرة، وإذا خفض يَومٌ فـــ"ما" من الزيادات، ويشدد «سيّئ" ويخفف: فأمّا التشديد فهو اللغة العالية وبعض الناس يخفف، وهنا يتدخل المعري للفصل في هذه المسألة

[1] – أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس، " شرح القصائد التسع المشهورات"، 101/1/ تحقيق أحمد خطاب، دار الحرية للطباعة، المطبعة الحكومية بغداد 1973م.ص55

[2] – " رسالة الغفران "، ص14.

[3] – " رسالة الغفران "، ص314.

بقوله: " وتشديدها أحسن وأعرف"[1]، وهذا ما وافقه فيه أبو الجعفر النحاس حين قال:" أصل سيئ مشدد"[2]، وناقشه في قوله : "كَبِكرِ المقاناةِ البيَاض بصُفرَةٍ "

ماذا أراد "بالبِكرِ"، فقد اختلف المتأولون في ذلك فقالوا : البيضة، وقالو : الدَّرةُ وقالوا : الرّوضَةُ، وقالوا: الزهرة وقالو : البرديّة، وكيف تُنشَدُ: البَياضُ، أم البياضَ أم البياضُ؟ فيقول: كلّ ذلك حسنٌ ، و اختيار البياضِ بالكَسرِ[3].

✓ **النابغة الذبياني:** قصيدة قالها في النعمان ابن المنذر و التي يقول فيها :

زَعم الهمام بأنّ فَاهَا باردٌ عذبٌ إذا ما ذقته قلت ازدَدِ

حتى يصل إلى قوله : "... إذا نظرتَ رأيت أحمرَ مشرقا وما بعده" كيف تنشد هذا القول؟ ننشد : وإذا نظرت، وإذا لمستَ، وإذا طعنتَ، وإذا نزعتَ على الخطاب، ثم يأتي الجواب على لسان النابغة بقوله: قد يسوغ هذا ولكن الأجود أن تجعلوه إخبارًا عن المتكلم لأن قولي: زَعمَ الهُمَامُ، يؤدي معنى قولنا: قال الهُمَامُ، فهذا أسلم، إذا كان الملك يحكي عن نفسه، وإذا جعلتموه على الخطاب قبح، وإذا نسبتموه إليَّ فهو منديَةٌ، وإذا نسبتموه إلى النعمان فهو إزدراء قبح[4]، فيرد ابن القارح عليه تعجبا به: " درك الله يا كوكب بني مرّة، لقد صحف عليك أهل العلم من الرواة كعمر المازني والشيباني وأبي عبيدة وعبد الملك".

– نقد المعري ألفاظ النابغة وما تؤديه من معان امتازت بالدقة والموضوعية، تعرض لأسلوب الشاعر وطريقته في اختيار الألفاظ المناسبة للموقف الشعري، كما تكشف قدرة المعري، على

[1] – أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني، " شرح المعلقات السبع 28"، دار الجيل بيروت لبنان.ص74

[2] – المرجع نفسه.

[3] – " نوع من الزحافات": هو تغيير يطرأ على الوزن، ويلحق بجزء من الأجزاء السبعة للتفعيلات– "الورد الصافي في علمي العروض"، محمد حسين ابراهيم، دار العتية للنشر نقلا عن رسالة الغفران، ص26.

[4] – " رسالة الغفران "، ص206–207.

الملاحظة والنقد، ورده لرواية الروّاة المشهورين، وبيَّن تصحيفهم لشعره، وبيَّن أن الأبيات الأربعة ليس فيها شيء مخالف لقواعد النحو والصرف[1].

ب.الشعراء المخضرمين: من بينهم :

✓ **لبيد بن ربيعة** : مخاطباَ إياه فيما مغزاك في قولك؟

و صَبُوح صافيةٍ وجذب كرينة بمُوترٍ تأتا لَهُ إبهامها؟

– فإن الناس يروون هذا البيت على وجهين: منهم من ينشد "تأتا له" بجعله تفتعلهُ، من آل الشيء يؤوله إذا ساسه، ومنهم من ينشده من الإتيان، فيرد لبيد : كلا الوجهين، يحتمله البيتُ، أمّا شرح المعلقات، فيشرحها في قوله: "تأتّيتَ له". كأن يفعل ذلك على مهل وترسل، أما بضم اللام أي آلت الأمر إذا أصلحته .

– يعارض المعري رأي الخليل وسيبويه في هذا البيت ويعتقد أن "تأتي" مأخوذة من أوى، وكأنّه بنى منها وافتعل فقيل "ائتاي"، فأعلت الواو كما تعلّ في قولنا اعتان من العون، واقتال من القول، ثم قيل "ائتيت"، فحذفت الألف، كما يقال: اقتلت، ثم قيل: في المستقبل بالحذف، كما قيل يستحي. فيقول لبيد معارضا:" لعلّ، لم يعنه الأمر أيسر مما ظن هذا المتكلف[2]"، لقد كان ردّه قاسياً. لأنّه عارض ونقد نحاة البصرة، ورأى أنهم قد قوّلُوا العرب ما لا يقولون، وأجروا على ألسنتهم غير ما يرضون وعلى رأسهم سيبويه[3].

ج. شعراء العصر الإسلامي:

✓ **أبو الطيب المتنبي:** في قوله:

"أذُمُّ إلى هذا الزمان أصيلُهُ"

[1] – د.خالد محمود عسور المزيد– د.فتحي رفيق، مقال" النحو النحوي في شعر رسالة الغفران لأبي العلاء المعري"، جامعة بلقان التطبيقية– أربد الأردن، ص.18

[2] – " رسالة الغفران "، ص210–211.

[3] – أمجد الطرابلسي، " النقد واللغة في رسالة الغفران "،مطبعة الجامعة السورية دمشق 1951، ص128.

– وصفه المعري بالمولع بالتصغير، ولا يُقلِعُ من ذلك بخلسة المغيّر، ولا ملامة عليه، وإنّما هي عادة صارت كالطبع، فما حَسُنَ منها مألوفُ الربع، ولكنها تفتقر مع المحاسن. ثم يأتي دوره في النقد النحوي فيقول وأهل كلمة "أصل" وضعها للجماعة، فيقال: ارتحل أهل الدّار. فيعلم السامع أن المتكلم لا يقصد واحداً، بل قال إلا أنّ هذه الكلمة استعملت للآحاد فقيل: فلان أهل الخير وأهل الإحسان[1].

2. السياق العروضي:

– استقى المعري في رسالته مسائل عروضية مثل الإقواء والرجز والزحاف والسناد والقافية عند الشعراء من كلّ العصور. بعمله هذا استطاع أن يقف في مصاف كبار صانعي التراث العربي، وأن يكون ظاهرة يمتد تأثيرها إلى أوساط ثقافية متعددة. بأسلوب جديد يعتمد على الحوار بين ابن القارح والشعراء وجاء رأيه واضحاً يدلّ على علم غزير وحافظة قوية.

أ.الإقواءُ: لقد تعرض للإقواء عند أبي الهندي وسعيد بن مسعدة، أما الحارث اليشكري عندما قال له على لسان ابن القارح :

لقد اتعبت الرواة في تفسير قوله زعموا أنّ كلُّ من ضرب العَيـــ ـــرَ مُوالٍ لنا وأنَّا الولاءُ

وما أَحسَبُكَ أردتَ إلاّ العَير الحِمَارَ

ثم قال له: لقد شنعت هذه الكلمة بالإقواء، في ذلك البيت، إشارة منه إلى قول الحارث في معلقته:

فملكنا بذلك النّاس حتَّ ملك المنذر بن ماء السماء

*والرويّ هنا مكسور وهو في سائر أبيات القصيدة بالضم.

– لقد أنكره على اليشكرى، وأعده شنيعاً للقصيدة، لأن الإقواء يُخلُ بنسق القصيدة ويخرجها عن الإنسجام الواقع في نهاية الأبيات. ويجوز أن تكون لغته أن تقف على آخر البيت ساكنا، وإذا أفعلت ذلك اشتبه المقيد بالمطلق وبهذا العمل حاول اخراج الرجل من هذا المأزق، ويُخرج

[1] – " رسالة الغفران "، ص196، الجزء الثاني. د.خالد محمود عسور المزيد– د.فتحي رفيق." وفي النقد النحوي في شعر رسالة الغفران لأبي العلاء المعري ".20

القصيدة من هذا العيب بواسطة تسكينها، لأنّ هذا التسكين سيخلط الأمور بينهم ويُخلط الأمور في القصيدة ويشبه المقيد بالمطلق، وهذا سيئ بالشعر لا محالة، ثم إنّه يعلم أنّ الإقواء على شناعته وقبحه أحبّ إلى قلوب النّاس وأجمل من تكسير النحو[1].

ب.الرجز: عُرفَ المعري بأنّه ألذ خصوم هذا الفن، فلم ير فيه إلاّ فنا قاصراً يُزري بمروءة الشاعر ومقدرته. لقد حطّ قيمته. فهو الرجز ؟

– الرجز هو تتابع الحركات ومنه رجز الشعر والانتقال من بيت إلى بيت سريع، وقيل سميّ بذلك لتقارب أجزاءه وقلة حروفه، ومن ثم يطلق الرجز على كلّ شعر قلت حروفه وقصرت بيوته[2].

– لقد تعرض المعري لقضية التسميط[3] عند امرئ القيس، حينما سأله قائلا: أصحيح الذي يرويه بعض الناس عنك و ينشد:

يَا صَحبَنا عَرَّجُوا تَقِف بِكُم أُسُجُ[4]
مَهرِيَةٌ[5] دُلُجُ في سَيرِها مُعُجُ[6]
طَالت بها الرِّحَلُ
فَعرَجُوا كُلُّهم والهَّم يشغلهّم
والعَيشُ يَحمِلُهُم ليست تُعَلِلُهم
وعَاجت الرُّمُلُ

[1] – د.خالد محمود عسور المزيد، " النقد العروضي في رسالة الغفران "، كلية الحصن الجامعية، قسم العلوم الإنسانية جامعة بلقان التطبيقية.ص26

[2] – محمد سليم الجندي، " الجامع في أخبار أبي العلاء " – 918/2،.

[3] – التسميط : الشعر المسمط: ما كان مقسماً إلى أجزاء عروضية مقفاة، على غير روي القافية الأصلية، وسمط قصيدة فلان، ضم إلى شطر منها شطراً من عنده صدراً لعجز، أو عجزاً لصدر.

[4] – أسجُ : النوق السريعات.

[5] – مَهرِيَةٌ : إبل مهرية، تسبق الخيل منسوبة لقبيلة مهرة بن ميدان (معجم الوسيط، 890/2، الطبعة الثانية)

[6] – مُعُجُ : فرس معج سريع السير، سهلة (886/2، معجم الوسيط).

– يقول لا والله ما سمعت هذا قط ؟ !، وإنّه قول لم أَسلُكُه، إنّ الكذب لكثير، وأحسب هذا لبعض شعراء الإسلام، ولقد ظلمني و أساء إليّ[1]!

– لقد تصدى المعري للدفاع عن امرئ القيس، لأنه فحل من فحول شعراء الجاهلية، والذين قالوا شعرا لا غبار عليه.

– وذكر مثالا آخر للرجز في الرسالة، عندما ناقش ابن القارح تلبيات العرب وهم يتوجهون إلى بيت الله الحرام، وذكر أن هذه التلبيات جاءت على ثلاثة أنواع مسجوع لا وزن له، ومنهوك[2] ومشطور[3]، وقد فصل بالأمثلة على كلّ نوع.

– نرى أبا العلاء جعل الرجز أضعف الشعر، وتحدث عنه بإزدراء وتهكم وسخرية، فجعل أصحاب الرجز يمتلكون الحروف النافرة والألفاظ المستكرهة، والقوافي المكلفة لا تصلح للمدح، تصك أذن السامع .

ج. الزحاف: ناقش المعري امرأ القيس، أن بعض المعلمين ينشد قولك[4]:

مِن السَّيلِ والغُثَّاءِ فَلكَةٌ مِغزَلِ

فيشدّدُ الثاء: إنّ هذا لجهولٌ، وهو نقيضُ الذين زَادوا الواو في أوائل الأبيات: أولئك أرادوا النسق، فأفسدوا الوزن، وهذا البائسُ أراد أن يصحح الزَنَّةَ فأفسد اللفظ وكذلك قولي[5]:

فَجئتُ و قد نضَت لنوم ثيابها

– منهم من يشدّد الضاد، ومنهم من ينشد التخفيف والوجهان من قولك: نضوت الثوب، إلاّ أنّك إذا شددت الضاء، أشبه بالفعل من النضيض: يقال هذه نضيضة من المطر أي قليل والتخفيف أحبّ إليّ، وإنما حملهم على التشديد كراهة الزحاف وليس بمكروه.

---

[1] – د.خالد محمود عسور المزيد، " القضايا النقدية في شعر رسالة الغفران لأبي العلاء المعري " – " النقد العروضي أنموذجاً"، ص32.

[2] – نور الدين السالمي العماني، " المنهل الصافي على فاتح العروض والقوافي "، وزارة التراث القومي والثقافي–عمان ، ص113.

[3] – المرجع نفسه.

[4] – د.محمود عسور المزيد، " رسالة الغفران لأبي العلاء المعري"، ووردت في " القضايا النقدية في شعر رسالة الغفران "،.

[5] – المرجع نفسه.

– فالمعري يرجح الرواية بالزحاف، لأن عدم تشديد الثاء والضاد يؤدي إلى أن تقبض[1]. لتفعيله "مفاعلين" فتصبح "مفاعلن" و هذا محافظة على الوزن.

د. القوافي: اهتم المعري في رسالة بالحروف التي تقع قوافي، فذكر أنّ أكثرها استعمالا هي: الدال والراء، الميم والعين واللام والياء.

فيقول: " فأما الداليات والرائيات وما بنى على الحروف الذلل، كالميم والعين واللام وما جرى ما جرهن، فلم اجتمع كلّ حيز منهم وهو خراد[2] لضاق عنهن الصدر والإيراد "[3].

– لقد صنف المعري الرويّ إلى ثلاثة أنواع، منها القوافي "الذلل" وهي التي كثر دورانها على الألسن قديماً وحديثاً و منها القوافي "النفر" وهي التي قلّ استعمالها عن سابقتها كالجيم والزاي، ثم القوافي "الحوش" وهي المهجورة والتي لا تكاد تستعمل كثيراً[4].

ملحق المصطلحات العروضية

1-الزحافات: تغيير يطرأ على الوزن وعرّفه الجوهري قال: " أمّا الزحاف فهو كلّ تغيير يلحق الجزء من الأجزاء السبعة (التفعيلات، من زيادة أو نقص أو تسكين أو تقديم أو تأخير ولا يكاد يسلم منه الشعر"

2-الإقواء: اختلال حركة الرويّ من بيت إلى آخر، أو مخالفة القوافي في القصيدة، برفع قافية وجرّ أخرى.

3-المقيد: الساكن وسميّ بذلك لتقييده عن انطلاقا الصوت به.

4-المطلق: هو متحرك الرويّ، سميّ بذلك لإطلاق الصوت به وهو الكثير، الشائع في الشعر العربي.

[1] – القبض : هو حذف الحرف الخامس الساكن من التفعله "فعولن".

[2] – خراد : طول السكون، من مادة خرد ("من لسان العرب"، جزء2، ص237).

[3] – " رسالة الغفران" و" مذاهب أبي العلاء المعري في اللغة وعلومها"، ص259.

[4] – " القافية في العروض والأدب" ، ص35.

5-الرجز: هو تتابع الحركات ومنه رجز الشعر والانتقال من بيت إلى بيت سريع وقيل سمي بذلك لتقارب أجزائه وقلة حروفه ومن ثم يطلق الرجز على كلّ شعر قلت حروفه، وقصرت بيوته .

6-التسميط: الشعر المسمط: ما كان مقسماً إلى أجزاء عروضية مقفاة، على غير روي القافية الأصلية، وسمط قصيدة فلان، ضم إلى شطر منها شطراً من عنده صدراً لعجز، أو عجزاً لصدر.

7-المنهوك: يكون له ضرب واحد وهو نفسها فمثلا في بيته :" يا ليتني فيها جذعٌ"، فقوله فيها جذع هو العروض والضرب، ووزنه "مُسْتَفعِلُنْ"، فالبيت على جزأين وقد حذفت باقي الأجزاء.

8-المشطور: قال ابن دريد، سميّ رجزًا لتقارب أجزائه، قلة حروفه، وقيل أن أكثر ما تستعمل منه العرب المشطور والذي على ثلاثة أجزاء، فشبه بالراجز من الإبل وهو الذي اشتدت احدى يديه بقي على ثلاثة قوائم[1].

3. سياق السخرية :

– تزخر رسالة الغفران بسخرية تهكميّة قائمة على الحجاج والعقل التي يرى فيها أبو العلاء طريقة لتغيير الواقع وأحد أشكال المقاومة الهادفة، لا تقصد الإضحاك فقط، بل لها أهداف وغايات ضمنية عديدة في قالب هزلي فاخر.

– اعتبر المعري السخرية آلية حجاجيّة تقوم على الفكر الفلسفيّ عنده، لدفع العقل للتفكير والتدبير بحسن عقلانيته ليصل إلى مصاف الساخرين العالمين الكبار. لنجد أنفسنا أمام سؤال مهّم، كيف تتجلى السخرية في رسالة الغفران ؟ و ما الدور الذي تؤديه هذه السخرية؟

[1] – محمدحسن إبراهيم عمري، وردت تعريفات "كتاب الورد الصافي في علميّ العروض والقوافي"، الدار الفنية للنشر والتوزيع، ص26

– تتجلى السخرية في رسالة الغفران في الخطاب النقديّ الذي يمتلك قدرة تعبيرية هائلة في الأفكار والمقاصد والأهواء وعلى الألفاظ التي لها دلالات مختلفة من أجل تصويب الخطأ وإقرار الحق في نصابه وإصباغه بقيم المجتمع والعمل على توجيهه نحو الكمال المنشود[1].

– ارتبطت السخرية بالجانب الأخلاقيّ، الذي يهدف إلى زرع القيم الفاضلة والنبيلة ودرء القيم الذميمة ونبذ الأفكار الخاطئة وإدانة أصحابها والمتعاملين بها[2].

– تحوي رسالة الغفران على براعة لغوية وأسلوبية من خلال اللفظ المختار والجملة الرصينة وإلى قوة البرهان التي تعكس اطلاعة وعمق تفكيره المنطقي وخياله الواسع، وكثرة شواهده من القرآن والحكم والشعر ..

– قوة احساسه الذي أطلق فيه العنان لخياله الواسع، ليتمثل الأشياء بمنظاره وتكون أقرب لذهن القارئ وأكثر تأثيراً.

– اهتمامه وعنايته بالشخصيات المختارة كعنايته بجودة أدبه وذوقه الفنيّ والفكريّ المتميّز، لتكون دوراتهم ومناقشاتهم هادفة تصل إلى حد التصادم والتعارض، لينتصر لفكره أخيرا مهما كان ويتفوق عليهم بالحجة والبرهان مستطرداً ما كان من معلومات وأفكار[3].

– حاول استصغار شأنه بأسلوب رمزيّ ايحائي، وغير صريح، حتى يبدأ في السخرية من ابن القارح بمدح ينم عن الذم في حقيقته بقوله: " وَصَلت الرسالةُ التي بحرها بالحكم مسجوعُ، ومن قرأها لا شك مأجورٌ، إذا كانت تأمر بتقبّل الشرع وتعيب من ترك أصلا إلى فرع وغرقت في أمواج بدعها الزاخرة، وعجبت من اتّساق عقودها الفاخرة ..."[4].

– لقد أثنت الدراسات الحديثة وعلى رأسها: الدكتور محمد الضيف في كتابه (عصر الدولة والإمارات) ومحمد زغلول سلام في كتابه (الأدب في مصر الفاطمية) إلى الدلالة الباطنية لرسالة

[1] – حنان بن قيراط، " فلسفة السخرية في رسالة الغفران لأبي العلاء المعري"، جامعة 08 ماي 1945 قالمة، 2021/10/08، ص367.

[2] – فيصل كوريفة، محمد الهادي الحسيني، " السخرية في الخطاب النقدي الجزائري المعاصر"، مجلة الكلم، مجلد م4. ع2.ص45

[3] – المرجع نفسه، ص48.

[4] – فؤاد إفراء البستاني، " رسالة الغفران أبو العلاء المعري"، شركة الشهاب 1991، ص20.

الغفران، وما اصطنعه أبو العلاء المعري من سخرية في غفرانه للإعتماد على أساليب التلويح والتعريض والإيماء، بحيث يبدو النص الظاهر مجرد تورية واسعة لنص آخر باطني[1]، أمّا أمجد الطرابلسي يتجه نفس المنحى حيث قال: " ...أسلوب قصصي تهكمي وإطار سماويّ هزلي ساحر ابتكره لقصته..."[2]

أ- الألغاز و الإيماء في رسالة الغفران:

كثيرة هي المشاهد التي صادفتني، لحظة قراءة الرسالة أجد فيها صعوبة لأخترق حجب التمويه والتخفي وأخيراً اتوصل إلى نور ضئيل يُشِعُ أتبع سبيله لأصل إلى الحقيقة ومنها، مشهد وقوف ابن القارح على طرفة وقوله له: " يا ابن أخي يا طرفة ...خفف الله عنك". هو نداء لم يختص به ابن القارح أحدا من الشعراء، ألعله إشفاق؟! أم من وراء هذا شيئ آخر ؟!.

- فتتضح الصورة الضبابيّة، فطرفة ابن العبد عمّه عبدٌ، وهنا النكتة التي لمح إليها أبو العلاء، وضمنها إشارات أخرى، فابن القارح أسود هجين النسب، لذلك كان الغفران فيه حشد من السودان مثل: "عنترة " و"زبيبة" و"السليك بن السلكة" و"خفاف بن ندبة" و أمه و"الأسود بن المنذر"... ثم عرج إلى أساود من الطعام والشراب، وما كان هذا استطراداً عابراً وإنما هو لون من ألوان التعريض بقبح ولون أبو القارح[3].

ب-أسلوب الملاحن:

يتمثل في الجمل الدعائية المعترضة التي بثها أبو اعلاء في ثنايا رسالته ظاهرها دعاء لابن القارح وباطنها الدعاء عليه.

- يقول: " أزلفَهُ اللهُ مع الأبرار المتّقين"[4]، يتلاعب فيه أبو العلاء بتعدد دلالات الكلمة وبصلاحية صورتها، أن تكون مفردًا وجمعًا .. فظاهر الجملة دعاء لابن القارح، أنّ يَدخُلَ الجنّة مع الصالحين،

[1] - دكتور محمد فوزي أمين، " رسالة الغفران بين التلميح والتصريح "، ص7.

[2] - أمجد الطرابلسي، " النقد واللغة في رسالة الغفران "، دمشق 1370-1951، ص6.

[3] - " رسالة الغفران بين التلميح و التصريح" ، ص86.

[4] - " رسالة الغفران " ، ص205.

على اعتبار أن "الأبرار" جمعُ "بار" وإنما قصده "الأبوار" جمع بر" وهو الفأر ويكون المعنى : دعاء على ابن القارح أن يزلفه الله مع الجرذان الخائفين.

- يقول:"بلّغهُ الله الأماني" ويقصد بالأماني، جمعَ "منى" بفتح الميم وهو الموت".

- " ثبت الله وطأته": الضمير في الجملة الدعائية محيّر، والمعنى الظاهر دعاء بتثبيت وطأة ابن القارح على الأرض ولكن المعنى الآخر الذي نظنه، هو دعاء أبو العلاء بتثبيت وطأة الدهر على ابن القارح، وهكذا نرى أن المعنى انقلب إلى الضدّ حينما توجهنا بالضمير وجهة أخرى[1].

[1] - " رسالة الغفران " ، ص205.

خاتـــــمة

- إنها رحلة طويلة وشاقة ولكنّها ممتعة في رحاب المملكة العلائية، فما فكَّرت فيها يوماً ولا إعتزمت من شأنها أمراً، وإنّما وُلدت الفكرة في هينة ورفق وهدوء تام، حتى ثبتَت في ذهني، فرحتُ أصطنع المألوف من الكلام وأساير المتعارف من الألفاظ لأتمكن من الدخول إلى سجن المعري وأفك قيوده و أغلاله.

وقد وقفت من خلال هذا المشوار الرائع على جملة من النتائج أهمها :

1-أبو العلاء المعري ناذرة من نوادر هذا الزمان، شامل في أدبه، واسع في عمله، رائع في حكمه، حرّ في أدائه، حرصت على إظهار الحقيقة من معتقده، وإيضاح الغامض من قوله والدلالة على مواطن الروعة والعبقرية في رسالته والإشارة إلى مواطن الدّقة من علمه والسداد من رأيه، وتوضيح كذب المفترين عليه وتحريف العابثين بأقواله .

2-لا يُعرَف أحد من الشعراء العرب أجدر بلقب الشاعر العالميّ، ولا من ساواه في شمول مباحثه. له قدرة عجيبة على صياغة الكلام والدقة في توظيف الكلمات وإحكام وضعها في مواضعها اللائقة وقوة في التأليف مع طلاوة إنسجام، معاني مبتكرة، روعة في الصور المتخيلة، وفرة في الأمثال والحكم، توظيف للمصطلحات العلمية والتاريخية والفلسفية.

3- لم يقف المعري في رسالة الغفران عند حدود التلقي وحفظ متون اللغة بل قام على تحليل الأشعار والنصوص وتمييز الخطأ من الصواب. فعالج الكثير من المسائل اللغوية والنحوية والعروضية والصرفية والفلسفية والدينية والتاريخية والنقدية بأسلوب جديد مبتكر، خالف علماء عصره، يعتمد على الحوار والنقاش بين ابن القارح وبين من يلتقي بهم من الشعراء في رحلته المتخيلة إلى العالم الآخر.

4-أثنى المعري على شعر بعض الشعراء الذين أعجب بشعرهم منهم عديّ بن زيد وطرفة بن العبد وبشار بن برد.

5-دافع عن قصائد بعض الشعراء، من ذلك دفاعه عن قصيدة النابغة الذبياني في زوجة النعمان وعلّل وصفه لها تعليلا ذوقياً مقنعاً، وقصيدة حسان بن ثابت بحضرة رسول الله "صلى الله عليه وسلم".

إستحسن المعري بعض الألفاظ التي جاءت على ألسنة بعض الشعراء، من ذلك لفظة "المحب" التي جاءت في شعر عنترة.

6-أظهر إمتعاض من بعضهم لخروجهم على طريقة العرب في الشعر ومخالفة أصول العربيّة.

7-إنتقد المعري بعض أعلام النّحو وخالفهم في آرائهم، منهم رائد مدرسة البصرة سيبويه، وذكر أنّهم قولوا العرب مالم يقولوا وأجروا على ألسنتهم مالم يرضوا.

8-عاب على بعض النحويين تأويلاتهم في شعر الشعراء.

9-حرص على إستقامة الأوزان الشعرية، فعاب على بعضهم الوقوع في العيوب التي تخل بجمال أوزان القصيدة العربية ودافع جاهداً على إبعاد التهمة عن امرئ القيس.

10-تناول قضية أشعار الجاهلين والمخضرمين، التي جاءت أوزانهم مخالفة للمشهور والمتداول عند شعراء عصره.

11-إستهجن الزحافات المستثقلة في أشعار القدماء.

12- حارب الرجز و لم ير فيه إلاّ فنًّا قاصراً يزري بمروءة الشاعر و عدّه أضعف الشعر.

13-قَسَّم الحروف المستخدمة في القوافي إلى ثلاثة أنواع هي: "الذّلل" وهي الحروف التي إعتاد الشعراء إستخدامها و "النُفُر" وهي الحروف المستثقلة و "الحوشُ" وهي التي تجنب الشعراء إستخدامها.

14-إمتلك المعري أسلوباً حوارياً هادفاً، مبنياً على السخرية والتّهكم والألغاز والإيماءات الغير المعلنة فصعّب على القارئ المبتدئ ولوج عالمه السحري.

15-إستخدم السخرية كآلية حجاجية يقوم عليها فكر فلسفيّ يعتمد على العقل للتفكير والتدبر بحسن وعقلانية حتى بلغ في رسالة الغفران ذروة السخرية موظفا أسلوباً رائعاً

مازج فيه بين الألفاظ المألوفة والمعاني غير المتوقعة مع براعة في تصوير المشاهد ليهرب من سجونه الغائمة والمظلمة إلى الجحيم والجنّة ليتحدث هناك بِحُريّةٍ من دون مراقبة، فيسبح عقله الرحب المتفتح ووجدانه الخصب الممتلئ بصخب الحياة.

16-إرتبطت السخرية عنده بنشر الأخلاق والقيم الفاضلة ونبذ الأفكار الخاطئة وأصحابها وصفاتهم الدنيئة في المجتمع، فكانت أشدّ سخطاً وايلاماً.

17-يمتاز بقوة برهانية عجيبة، تعكس ثقافته الواسعة وإطلاعه العميق وتفكيره المنطقي، فيكثر الشواهد من القرآن الكريم والحكم والشّعر ...و أمثال ...

18-إحساس رهيب، مرهف تارة، وعنيف ساخط على كلّ شيء، متمرد، ثوريّ على العادات والتقاليد المتوارثة فأطلق العنان لخياله المنفرد حتى تمثّل الأشياء بمناظره.

19-جمعت رسالة الغفران في طياتها طرافة وعذوبة وروعة أسلوب وجمال بيان تجلي في مجملها شخصية المعري الفيلسوفيّة الشاعرة، الساخرة، المضطربة.

20-نقَدَ المعري التعاليم الإسلامية، ولهذا اُتُهِمَ بالكّفر والزندقة، وهي المنطقة المحضورة والتي لا يمكن لأحد الولوج فيها.

21-لقد توصل المعري إلى داء الأمة وحدد علّلها ووصف بعض علاجها ولكنّه لم يكن صيدلانيا ، ليصل إلى إختراع الترياق وتركيب العلاج.

22-لقد تخطى أبو العلاء المعري الخطوط الحمراء، بإبداء رأيه في الطبيعة البشرية مثل المرأة، الأخلاق، الدين، الحياة، البشر، العقل و الإصلاح اللإجتماعي، فقد نفض كفّه من تغييرها والمعتقدات والأديان، الماورائيات و أنكر أن يصل غيره إلى حقيقتها.

23-يتلاعب المعري بمستويات الدلالة، فمنها الظاهر الذي قد لا يكون مقصوداً ومنها الباطن الخفيّ المقصود وهذا يدفعنا للإطالة وإمعان النّظر وفك خيوطه العنكبوتيّة الملغّمة بالألغاز.

24- لم يتركني المعري أتخبط عمياء في غفرانه، لكنّه ألقى لي بكلمة السرّ، وهي المفتاح الذي و لَجَتُ به عالم الغفران الباطن للتوصل إلى بعض أسراره الخفيّة.

25-تلوّن شيعي ظاهر للعيان، لوّن به أبو العلاء جنّته التي صنعها لابن القارح قصد فضحه لا كما إعتقد الجميع بأنّه معتقده. وأنا لا أطعن في معتقد المعري فهو واضح وضوح الشمس .

- وأخيراً وليس آخراً، أرجوا أن أكون قد حققت بعض ما أردت الوصول إليه في هذا البحث، وألقيت بعض النور على ناحية مظلمة، تكاد تكون مجهولة في الدراسات النقدية السياقية لهذه الكتب التراثية القديمة والتي يعزف الكثير من طلابنا البحث فيها .

- فهل لي أن أدعي جلاء هذه الناحية ولو بعض الجلاء؟ وهل يكون في هذا النّور الضئيل الذي ألقيته على تلك الظلمة ما ينير السبيل؟

- وهل لي أن أطمح في أن يكون بحثي هذا قد ساهم ولو بعض الشيء في إنارة دهليز المعري بإتخاذ "رسالة الغفران" نموذجا للدراسة.

قائمة

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

قائمة المصادر:

01- إبراهيم وعطيه الصوالحي، عبد الحليم منتصر، محمد خلف الأحمر، "معجم الوسيط"، دار الفكر- د ت ، ج 1 ج، مادة سوق.

02- ابن العديم، "الإنصاف والتحري في دفع الظلم والتحري عن أبي العلاء المعري"، تحقيق ودراسة الدكتور عبد العزيز هرفوش، دار الجولان سنة 2007.

03- ابن العديم، "زبدة الحلب من تاريخ حلب"، وضع حواشيه خليل منصور، للصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة، المتوفي سنة 660ه، وحققه وقدّم له الأستاذ الدكتور سهيل زكّار، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى.

04- ابن بطوطة، "رحلة ابن بطوطة"، (تحفه النُظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) الجزء الأول، حققه (الشيخ محمد عبد المنعم العريان، راجعه وأعدّ فهارسه الأستاذ مصطفى القصاص، دار إحياء العلوم، بيروت (الطبعة الأولى، 1407 هـ - 1987م) بيروت - لبنان.

05- ابن شهيد الأندلسي، "رسالة التوابع والزوابع"، تحقيق بطرس البستاني، الياقوتة الحمراء للبرمجيات.

06- ابن عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، "البيان والتبين"، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بمصر 1395 هـ - 1975 م - ط4.

07- ابن قتيبة، "الشعر والشعراء"، تحقيق مؤلف أحمد محمد شاكر، الجزء الأوّل، دار المعارف.

08- ابن منظور، "لسان العرب"، بيروت، دار الملايين، ج 14.

09- أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، الإمام العلامة عمدة المؤرخين المعروف بأبي الأثير، "الكامل في التاريخ"، راجعه الدكتور يوسف الدقاق، المجلد 8، دار الكتب العلمية - بيروت — لبنان.

10- أبو الحسين أحمد بن فارس، "معجم مقاييس اللغة"، تحقيق عبد السلام محمد هارون، د- ط- دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، ج1.

11- أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (608- 681هـ)، "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، حققه الدكتور إحسان عباس، المجلد الأوّل، دار صادر بيروت (1398هـ - 1978م) - الجزء 1 -.

12- أبو العلاء المعري، "الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ"، دار الآفاق الجديدة، ضبطه وفسره (محمود حسين زناتي-أمين الخزينة التركية سابقا)، (مراجعة لجنة إحياء التراث العربي، في دار الآفاق الجديدة) منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت -د-.

13- أبو العلاء المعري، "اللزوميات"، (1-2) الناشر مكتبة الخانجي القاهرة، تحقيق أمين عبد العزيز الخانجي الجزء الأول، منشورات مكتبة الهلال- بيروت- مكتبة الخانجي - القاهرة-.

14- أبو العلاء المعري، "رسالة الغفران"، تحقيق عائشة عبد الرحمن، ط 4، دار الكتاب العربي، بيروت.

15- أبو العلاء المعري، "سقط الزند"، دار بيروت للطباعة والنشر، دار صادر للطباعة والنشر، مكتبة جابر الأحمد المركزية.

16- أبو العلاء المعري، "شرح اللزوميات لأبي العلاء المعري"، تحقيق منير المدني، و زينب القوصي وآخرون، وفاء الأعصر، سيّدة حامل، إشراف ومراجعة (الدكتور حسين نصار)، الجزء3، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة.

17- أبو الفتح عثمان بن جني، "الخصائص"، حققه عليّ النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت - لبنان ط2 - ج1-2.

18- أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس، "شرح القصائد التسع المشهورات"، تحقيق أحمد خطاب، دار الحرية للطباعة، المطبعة الحكومية، بغداد ، 1973م.

19- أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني، "شرح المعلقات السبع"، دار الجيل بيروت، لبنان ج28.

20- أحمد أمين، "النقد الأدبي"، كلمات عربية للترجمة والنشر، ص.ب مدينة نصر القاهرة، ص 14-15.

21- أحمد أمين، "ظهر الإسلام"، ج1، الناشر مؤسسة هنداوي، صادر 2013.

22- أحمد رفاعي، "إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب"، القاهرة - ط 1.

23- الزمخشري، "أساس البلاغة"، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، مادة سوق.

24- السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة"، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت – لبنان – ج1، ط2 1979.
25- أمجد الطرابلسي، "النقد واللغة في رسالة الغفران"، مطبعة الجامعة السورية، دمشق 1951.
26- امرؤ القيس، ديوان امرؤ القيس، د.ط دار بيروت للطباعة والنشر، 1392ه–1972م.
27- صلاح الدّين خليل بن أيبك الصّفدي، "الوافي بالوفيات"، ت(764ه)– الجزء السابع – (أحمد بن الطيب بن خلف – أحمد بن محمد بن شراغة) – طالعه يحيي بن حجي الشافعي ابن أيبك الصفدي (رحمه الله) أحمد بن مسعود، تحقيق واعتناء (أحمد الأرنأووط–تركي مصطفى – دار إحياء التراث العربي –بيروت – لبنان – حقوق الطبع محفوظة 1420ه – 2000ه –الطبعة الأولى رقم – 687–.
28- طه حسين، "آثار أبي العلاء المعري، تعريف القدماء بأبي العلاء المعري"، تحقيق الأساتذة (مصطفى السّقا، عبد الرحيم محمود، عبد السلام هارون، إبراهيم الإبياري، حامد عبد المجيد).الناشر الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة، 1385ه – 1965م السفر الأول.
29- طه حسين، "تجديد ذكرى أبي العلاء المعري"، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
30- طه حسين، "مع أبي العلاء في سجنه"، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة.
31- عائشة عبد الرحمن، "رسالة الغفران لأبي العلاء المعري، دراسة نقدية"، دار المعارف، ط3.
32- عباس محمود العقاد، "أبو العلاء المعري"، مؤسسة هنداوي.
33- عبد السلام المسدي، "الأدب وخطاب النقد"، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، مارس 2004.
34- عبد السلام المسدي،"المصطلح النقدي"، مؤسسات بن عبد الله للنشر،تونس، د.ط 1994.
35- عبد القادر زيدان، "قضايا العصر في أدب أبي العلاء المعري"، دار الوفاء للطباعة والنشر الإسكندرية، مصر، ط1. 2007.
36- عبد القاهر الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، تحقيق محمد رضوان الداية، وفايز الداية، دار قتيبة، ط1، 1403ه – 1983 م.
37- عبد المجيد ذياب، "أبو العلاء المعري الزاهد المفتري عليه"، الهيئة العامة للكتاب مصر، ط1 1986.
38- عبد الملك مرتاض، "في نظرية النقد"، دار هومة، الجزائر، 2012.

39- عطا بكري، "الفكر الديني عند أبي العلاء المعري"، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان- ط1، سنة 1980.

40- عمر فروخ، "أبو العلاء المعري الشاعر الحكيم"، دار الشرق الجديد، بيروت، مكتبة الفكر الجديد، طبعة 1، سنة 1960.

41- فؤاد إفراء البستاني، "رسالة الغفران لأبي العلاء المعري"، شركة شهاب 1991.

42- فوزي محمد أمين، "رسالة الغفران بين التلميح والتصريح"، كلية الآداب- جامعة اسكندرية- دار المعرفة 1993.

43- قدامة بن جعفر، "نقد الشعر"، مطبعة الجوانب قسطنطينية، 1 يناير 1900.

44- مجدي وهبة وكامل المهندس، "معجم المصطلحات العربية"، دار النشر مكتبة لبنان، الجزء الأول.

45- محمد سليم الجندي، "الجامع في أخبار ابي العلاء المعري وآثاره"، الجزء الأول، علق عليه الدكتور عبد الهادي الهاشمي، مطبوعات المجمع العلمي بدمشق 1384 هـ-1962م.

46- مصطفى غالب، "أبو العلاء المعري مبصر بين عميان"، في سبيل موسوعة فلسفية، دار مكتبة الهلال، جزء 4، تأليف الدكتور (خليل شرف الدّين) سنة 1995.

47- ياقوت الحموي الرّومي، "معجم الأدباء، و إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب"، تحقيق الدكتور احسان عباس، الجزء 1، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى 1993، بيروت لبنان دار صادر .

قائمة المراجع:

01- أبو العلاء المعري، "الفضول والغايات"، الضبط وفسر عريبة محمود حسن زناتي، دار الآفاق الجديدة، بيروت د.ط.

02- أحمد عبد الرحمن حماد، "عوامل التطور اللغوي"، دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان بيروت، ط1، 1403 هـ - 1983 م-.

03- إدوارد سعيد، "العالم والنّص والناقد"، تحقيق عبد الكريم محفوظ، منشورات إتحاد الكتاب العرب 2000.

04- أدونيس، "ديوان الشعر العربي الكتاب الثاني"، المكتبة العصرية، صيدا، 1924.

05- الخطيب البغدادي، "تاريخ بغداد"، حققه و ضبط نصه الدكتور عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط4 ، 1422 هـ - 2001م.
06- السيد إبراهيم الموسوي الزنجاني، "العقائد الإمامية الأثنى عشرية"، البحرين.
07- جيروم ستولنتير، "النقد الفني"، دراسة جمالية، ترجمة فؤاد زكرياء.
08- حسن إبراهيم حسن، مدير جامعة أسيوط، وأستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة القاهرة، "تاريخ الإسلام السياسي والدّيني والثقافي والاجتماعي"، في الشرق ومصر والمغرب والأندلس، الجزء 3- دار الجيل بيروت - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة -.
09- رام ألبريس، "الاتجاهات الأدبية الحديثة"، ترجمة جورج طرابيشي، منشورات كويدات بيروت- لبنان- ط2 — 1980.
10- ستانلي هايمن، "النقد الأدبي ومدارسه الحديثة"، ترجمة احسان عباس ومحمد يوسف نجم، الجزء الأول دار النشر.
11- صلاح فضل، "مناهج النقد المعاصر"، ميريت للنشر والمعلومات القاهرة- ط1 2002-.
12- عبد الرحمن بدوي، "دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي"، دار القلم، بيروت، 1979، ط3.
13- عبد السلام المسدي، "الخطاب النقدي"، كلية الآداب والفنون، جامعة الشلف، المجلد 4- العدد 21، جوان 2017.
14- عبد السلام المسدي، "في آليات النقد الأدبي"، دار الجندوب، تونس 1994.
15- عبده الراجحي، "فقه اللغة في الكتب العربية"، منشورات جامعة الإسكندرية، د.ت.
16- عدنان بن ذليل، "اللغة والدلالة"، أراء ونظريات، منشورات دار الكتاب - العرب - دمشق- 1981.
17- عطا بكري، الفكر الديني عند ابي العلاء المعري، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان، ط1 1980.
18- عطيه محسن محمد، "نقد الفنون الكلاسيكية إلى عصر ما بعد الحداثة"، منشأة المعارف، الإسكندرية.
19- محمد بلوحي، "آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي"، بحث في تجليات القراءة السياقية.

20- محمد حسين إبراهيم، "الورد الصافي في علمي العروض"، دار الفنية للنشر.
21- محمد زغلول سلام، "الكتابة والكتاب"، منشأة المعارف الإسكندرية.
22- محمد غنيمي هلال، "الأدب المقارن"، دار العودة بيروت، 1983، ط3.
23- محمد منذور، "في الميزان الجديد"، دار النهضة مصر الفحالة، القاهرة، د.ت ط 129.
24- مصطفى غالب، "تاريخ الدعوة الإسماعيلية"، دار الأندلس، بيروت.
25- نبيل راغب، "موسوعة النظريات الأدبية"، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان مصر، 2003.
26- نصرت عبد الرحمن، "في النقد الحديث، دراسة في مذاهب نقدية حديثة وأصولها الفكرية"، جهينة للطباعة والنشر، عمان الأردن، ط1، 2007.
27- نور الدين السالمي العماني، "المنهل الصافي على فاتح العروض والقوافي"، وزارة التراث القومي والثقافي، عمان.
28- ياسين السيّد، "التحليل الاجتماعي للأدب، مركز الدراسات السياسية والاجتماعية"، القاهرة، مصر، د.ط 1993.

مذكرات التخرج:

1- الطالب حسان شريف نجيب، "رسالة الغفران للمعري قراءة تأويلية"، إشراف د.محمد بن لخضر فوراري، مذكرة لنيل الماجيستير، سنة 2011-2012.
2- الطالب عبد المجيد حنون، "اللانسوية وأبرز أعلامها في النقد العربي الحديث"، مخطوط دكتوراه دولة، معهد اللغة العربية و الأدب العربي، جامعة الجزائر 1991.

المجلات الفكرية:

1- مجلة إشكالات في اللغة والأدب- جامعة العربي التبسي- تبسة – الجزائر.
2- مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، العدد 26 سبتمبر 2016.
3- مجلة الأقلام، العدد 09 1989، منشورات وزارة الثقافة العامة العراق.
4- مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، Eissh : 2602- issa 5264 : 2353 - 0495 المجلد 10، العدد: 3 (2022).
5- مجلة السياق - المجلد الثالث، العدد الثاني- ديسمبر 1980.

6- مجلة القبس الثقافية، 5 فبراير 2022 .

7- مجلة المفكر، موقع المعلومات الشامل العربي، الجمعة يناير 2021.

8- مجلة عود الند، العدد 22، آذار 2008 م.

9- مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، مجلد 23، العدد 57 عمان- 1999-.

المواقع الإلكترونية:

1- كلية الفنون الجميلة، جامعة بابل، أستاذة طالب سلطان حمزة راشد الحميري 2017/10/17.

2- منتدى معمري للعلوم.

3- منصة ومكتبة دار النشر، بقلم ريتشارد نانيان، ترجمة دلال رمضان.

4- موقع عربي بالعالم.

المقالات العلمية الجامعية:

01- ادوارد سعيد، "من العالم والنّص والناقد"، مجلة القبس الثقافي.

02- التأثير الإسلامي في كوميديا دانتي، قصة نظرية صارت حقيقية تاريخية، انظر مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، المجلد 23، العدد 57، عمان 1999.

03- الربيعي بن سلامة، "الوجيز في مناهج البحث الأدبي وفنيات البحث العلمي"، منشورات جامعة منثوري قسنطينة 2001-2002.

04- النص الشعري بين النقد السياقي والنقد النسقي، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح ورقلة (محاضرة).

05- إيمان محمد أحمد الربيع، أستاذة مساعدة، "بين رسالة الغفران والكوميديا الإلهية"، جامعة جرش كلية الآداب قسم لغة عربية نقلا عن مجلة السياق.

06- بن فرحات ادريس، العيد جلول، "مفهوم النقد وخصائصه عند عبد السلام المسدي"، نقلا عن مجلة الأثر، قاصدي مرباح، العدد 26، سبتمبر 2016.

تاريخ الاستلام:2022/08/10-تاريخ النشر: 2024/10/08.

07- حنان بن قيراط، "الفلسفة السخرية في رسالة الغفران لأبي العلاء المعري"، جامعة 08 ماي 1945 قالمة- الجزائر.

08- حياة عمارة، أستاذة بجامعة الأدب العربي أبو بكر بلقايد تلمسان – "الفكري النقدي العربي"، محاضرة ماستر 2.

09- خالد محمود عسور المزيد- رضوان محمد سعيد عجاج يزولي، أستاذ مساعد قسم العلوم الإنسانية كلية الحصن الجامعية، "النقد اللغوي في شعر رسالة الغفران لأبي العلاء المعري"، جامعة البلقان التطبيقية، د.محمد خالد المزيد – (وزارة التعليم العالي)، حوليات جامعة قالمة للغات والآداب، العدد 15 ، جوان 2016.

10- خالد محمود عسور المزيد، "القضايا النقدية في شعر رسالة الغفران لأبي العلاء المعري، "النقد العروضي أنموذجاً" – كلية الحصن الجامعية قسم العلوم الأساسيّة –جامعة البلقان التطبيقية- أربد- الأردن.

11- خالد محمود عسور المزيد، "النقد النحوي في شعر رسالة الغفران لأبي العلاء المعري"، الدكتور فتحي محمد رفيق- جامعة البلقان التطبيقية أربد- الأردن.

12- دانيتي، "مقاربة بين رسالة الغفران للمعري و الكوميديا الإلهية"، مجلة عود الند، العدد 22، آذار/ 2008 م.

13- فيصل كوريفه، محمد الهادي المسيلي، "السخرية في الخطاب النقدي الجزائري"، من مجلة الكلم المعاصرة عدد 4.

14- محمد عروس، "أسئلة المنهجية وأسسه الفلسفية (النقد السياقي) "، – جامعة العربي التبسي – تبسة — الجزائر.

15- مرشد الزبيدي، "مفهوم البناء الفني للقصيدة في النقد العربي الحديث"، مجلة الأقلام العدد 09-1989، ط1 ، مارس 2004.

الملخص

أتى على الأمّة العربية الإسلاميّة حين من الدّهر كان فيه أبو العلاء المعري أعظم مظهر للحياة العقلية وكانت ولا تزال رسالة الغفران أجل معرض تُعرضُ فيه ثمرات القرائح ونتائج الفكر، وأوسع ميدان يتبارى فيه ذَوُو الفصاحة واللسن. وهذا السرّ حاولت جاهدة البحث عنه في الرسالة؛ هل رسالة الغفران تحمل سياقات نقدية متنوعة، تعكس سياقات العصر وتناقضاته التي أثرت على الرجل، فصنعت هذه الأعجوبة؟ أين نجد هذه السياقات النقدية في الرسالة؟

نظرا لطبيعة البحث، اعتمدت المنهج الوصفي التحليلي القائم على التحليل والاستقراء واحياء الأحداث.

الكلمات المفتاحية :

الرسالة – الغفران – المحبس – السرداب – النقد السياقي – السخرية – الألغاز والإيماء.

Résume:

Il vint un temps dans la nation arabo-islamique où Abu al-Ala al-Ma'ari était la plus grande manifestation de la vie rationnelle, et le message du pardon était et est toujours une exposition dans laquelle les fruits de la sagesse et les résultats de pensée sont présentés, et l'arène la plus large dans laquelle ceux qui ont l'éloquence et la langue rivalisent. Et ce secret que je me suis efforcé de rechercher dans le message : Le message de pardon porte-t-il une variété de contextes critiques, reflétant les contextes de l'époque et ses contradictions qui ont affecté l'homme, alors j'ai créé ce miracle ? Où trouvons-nous ces contextes critiques dans la lettre ?

En raison de la nature de la recherche, j'ai adopté l'approche analytique descriptive basée sur l'analyse, l'induction et la relance des événements.

Les mots clés:

Le message - le pardon - l'ermitage - le sous-sol - la critique contextuelle - l'ironie - les énigmes et les gestes.

Summary:

There came a time in the Arab-Islamic nation when Abu al-Ala al-Ma'ari was the greatest manifestation of rational living, and the message of forgiveness was and still is an exposition in which the fruits of wisdom and the thought results are presented, and the widest arena in which those who have eloquence and language compete. And this secret that I have endeavored to seek in the message: Does the message of forgiveness carry a variety of critical contexts, reflecting the contexts of the time and its contradictions which have affected man, so I have created this miracle? Where do we find these critical contexts in the letter?

Due to the nature of the research, I adopted the descriptive analytical approach based on the analysis, induction and relaunch of events.

Keywords:

The message - the forgiveness - the hermitage - the basement - the contextual criticism - the irony - the riddles and the gestures.